د/ توفيق على منصور

عبور مصر من الهزيمة إلى النصر
"دراسة لعصرى عبد الناصر والسادات"

الطبعــة الأولى

النــاشـــر

دار الحسام للطباعة والنشر والتوزيع

١٢ ش د / عز الدين طه - المنطقة الأولى مدينة نصر

١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

عبور مصر من الهزيمة إلى النصر
"دراسة لعصرى عبد الناصر والسادات"

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى روح صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز

بطل الأبطال

ورمز القيادة العربية الواعية

المحتويات

تقديم

صدرت الكثير من الكتب وسطرت العديد من المقالات فى الصحف والمجلات والدوريات بحيث يصعب على المرء أن يطلع عليها جميعاً ويلم بجميع المعلومات الصادقة والمغرضة عن حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧م وحرب الأستنزاف حتى حرب أكتوبر (تشرين أول) ١٩٧٣م ومابعدها حتى عام ١٩٧٥م .

والمؤلف الذى شارك مقاتلا فى هذه الحروب قبل أندلاعها فى عام ١٩٦٧م وبعد أنتهائها فى عام ١٩٧٥م يسطر بقلمه نبض هذه الأيام معبراً عن مشاعره الذاتية وما كان يشعر به المقاتلون وما كان يدور بين القيادات الصغرى وتتداوله القيادات العليا . وقد مزج هذا كله بما أطلع عليه من أقوال وتحليلات وآراء تعبر عن مكنونات بعض كبار المسئولين عن هذه الحقبة من الزمن . وهو بهذا يضيف إلى خزانة الكتب الصادرة فى حق هذه الفترة الزمنية العصيبة ما يراه جديداً .

وإن الكمال لله وحده ، ونحن عباده وباقى خلقه ؛ لنا عقول تصيب وتخطئ . وهذه الدراسة التى بين أيدينا تشتمل على كثير من الصواب ولكنها لا تخلو من الأخطاء . وإنى وإن كنت أشارك المؤلف فى معظم أحاسيسه وأنفعالاته فأننى أختلف معه فى بعض الأمور . وسوف أترك القارئ ليستخرج من الدروس المستنبطة من هذه المعارك ما يعن له سواء أكان يؤيد ما ذهب إليه المؤلف أو يخالفه .

ولهذا لا أجد بأسا من الدخول مباشرة فى لب الموضوع ؛ موضوع هذه الحروب الثلاثة التى تضمنها هذا الكتاب بين مصر وإسرائيل .

والمعروف أن إسرائيل تساندها بصورة مطلقة وصادقة الصهيونية العالمية التى تكاد تسيطر على وسائل الإعلام فى العالم المتقدم وكذلك على أجهزته السياسية ؛ بينما يُساند مصر الأتحاد السوفيتى مساندة مشروطة وخبيثة . وعلى أية حال مرت الحروب الثلاثة منذ عام ١٩٦٧م وحتى عام ١٩٧٣م فى مراحل ثلاث .

المرحلة الأولى وهى حرب يونيه (تموز) عام ١٩٦٧م :

وفى هذه الحرب أنتصرت إسرائيل أنتصاراً ساحقاً ليس بسبب قوتها ولكن بسبب ضعف المقاتل المصرى الذى دخل المعركة وقد خذلته القيادة العسكرية والقيادة السياسية كما خذلته نظم الأسلحة العتيقة . ولذلك خسر المعركة .

لقد هيأت الظروف العالمية والإقليمية الفرصة لضرب مصر فى الصميم فى هذا الوقت الذى يعمل فيه نصف الجيش المصرى فى اليمن وقد أستهلك سلاحه وآلياته وذخيرته ومعنوياته .

ومنذ أن أحرزت مصر النصر السلبى على دول العدوان الثلاثى - بريطانيا وفرنسا وإسرائيل - فى عام ١٩٥٦م نتيجة تدخل الأتحاد السوفيتى بالأنذار لهذه الدول ووقوف الولايات المتحدة موقف المراقب المتحفز للأحداث .

أستردت مصر سيادتها على أراضيها المحتلة فى سيناء وأضطرت الدول

المعتدية للأنسحاب مخذولة . وأصبحت مصر دعامة من دعائم دول عدم الأنحياز . وبعد أن تحررت سياسياً وعسكرياً من الأحتلال البريطانى ، تطلعت إلى الصف العربى والإسلامى لتجد فيه التأييد والحماس ، ولتدفع بدورها الدعوات الأستقلالية فى البلاد العربية والإسلامية خاصة والإفريقية والعالمية عامة الخاضعة للأستعمار البريطانى والفرنسى للتخلص منهما ولتحرير أراضيها المحتلة من ربقتها . وهذا ما ألّب عليها هاتين الدولتين ، بينما الصهيونية العالمية تتحين الفرص بين أطراف الصراع وتحبك الدسائس وتدبر المؤمرات . ويحسن بنا أن نتلمس جذور هذا الصراع .

١ - نتج عن الحرب العالمية الأولى أن تغير الجو السياسى فى البلاد العربية بصورة تامة . فقد أحتل الأستعمار الغربى (البريطانى والفرنسى والإيطالى) معظم البلاد العربية بقصد أستغلالها فى جميع الشئون وتحقيق جميع أطماعه الكثيرة والمتنوعة . وكانت البلاد العربية متخلفة جداً بالمقارنة بأوروبا وأمريكا . وكان قسم كبير من تخلفها يرجع إلى السياسة العثمانية فى جميع الأمبراطورية ، بما فيها تركيا نفسها . لكى يبقى الفرد تابعاً وذليلاً .

وصَاحَبَ هذا التخلف ظلم عام وأستبداد عنيف . وأنفرد الأتراك بالسيطرة على شئون الدولة ؛ إلا أن أحتلال بريطانيا لمصر سنة ١٨٨٢م وحصول لبنان على شئ من الإدارة الذاتية فى بداية القرن العشرين بحجة حماية المسيحيين أوجد إحساساً بالظلم عند العرب تجاه العثمانيين ، لأختلاف أوضاعهم عن أوضاع لبنان ومصر . كما أن ثورة المهدى

الأستقلالية الإسلامية فى السودان وتصدى الأنكلير لها بقواتهم المتفوقة بالعدد والنوع وإخمادها ، أوجد سبباً آخر لظهور الحركات الأستقلالية فى العالم العربى ؛ مثلها كمثل ثورة عبد الكريم الريفى الأستقلالية الإسلامية فى المغرب . وهذه الثورات هى ردات الفعل للأستعمار الغربى والحضارة النصرانية .

٢ - وبعد الحرب العالمية الثانية أختلفت الأوضاع . فقد بدأت الحركات الأستقلالية الأكثر أهمية تظهر فى كثير من الدول المحمية مثل مصر والعراق وسوريا ، بسبب ظهور ميثاق الأمم المتحدة وما فيه من دعوة صريحة للأستقلال والتمتع بالحقوق الفردية والإنسانية . أما تركيا فقد ظهرت فيها النزعة الكمالية التى أنصرفت عن الإسلام وغرقت فى البحر الغربى ولا تزال ماسونية كمؤسسها .

إلا أن ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م الأستقلالية فى مصر كانت واضحة منذ أن تبناها جمال عبد الناصر . ونذكر من إنجازاتها : محاولة تحرير السودان- وإن كان أختيار صلاح سالم لهذه المهمة خاطئاً - وإخراج القوات البريطانية من قواعدها حول قناة السويس وشراء السلاح من تشيكوسلوفاكيا .وتأميم قناة السويس . كما أن ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨م فى العراق كانت هى الأخرى تحررية وأستقلالية ، ولكن دمرها حاكماها الوحيدان عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف كما دمر جمال عبد الناصر الثورة المصرية .

إن التسلط فى كل من مصر والعراق قضى على كثير من آمال الشعبين والشعوب العربية الأخرى التى كانت تتطلع إلى تقليد الثورتين ، حتى

أصبح أمل الوطنيين المثقفين ودعاة التقدم والنماء التخلص من رموز الأستبداد في مصر والعراق ؛ ذلك أن الحركات الأستقلالية تقوم أولاً على الشعب الذي يتطلع للتحرر والأستقلال والبناء الأقتصادي القوي ، ثم تقوم ثانياً على القيادة الصالحة كما تقوم ثالثاً على القوة المادية والعسكرية التي تحمى الأستقلال والتقدم .

ولكن قيادتي الثورة في مصر والعراق إعتمدتا بشكل واضح على شعبيتهما بالطبع عن حسن نية ، وإلا لتصدى لهما من يقطع الرؤوس ؛ وهو ما حدث في العراق نتيجة العدوان القاسمي الصارخ . فقد حدثت عدة محاولات ضده حتى نجحت الأخيرة في سنة ١٩٦٣م ؛ ربما لأن الشعب العراقي أكثر أندفاعاً من الشعب المصري ، ولأن الفرد المصري أكثر قدرة على التحمل والتساهل ، مع فرق واضح تماما ، هو أنهم شعروا في مصر بالأستقلال في حقيقته وفي مظاهره ، بينما كان هذا الأستقلال نصف مريض في العراق .

٣ - أبرز الدكتور توفيق بشكل مبالغ فيه سيطرة عبد الحكيم عامر على السياسة المصرية . وهذا ليس صحيحا من حيث الواقع ؛ فقد كان جمال عبد الناصر أقوى بكثير من ذلك (وعليه إثبات ذلك) .

٤ - ذكر المؤلف في ص ١٣ عدة أسباب لأنتصارات سنة ١٩٥٦م ولم يذكر الأندفاع الوطني في مصر والبلاد العربية للأستقلال الذي شعر به المصريون والعرب . وكانت من مظاهره قطع أنابيب البترول من العراق إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط ، إضافة إلى غلق قناة السويس أمام ناقلات

النفط مما أضطر الناقلات إلى الدوران حول أفريقيا . وباتت أوروبا تعيش فى الظلام وكأنها فى فترة الحرب العالمية الثانية . ورغم أسلوب جمال عبد الناصر السئ فى الحكم ، تساهل المصريون والعرب معه أملا فى أجراء التغيير فى المستقبل ولو كان بعيداً .

٥ - إن تولّى عبد الحكيم القيادة العسكرية جاء نتيجة كونه أحد ركائز الثورة ؛ ولابد من سيطرة أحد أعضائها على القوات المسلحة تتوفر فيه الأمانة والأمن . لقد أنتقد الفريق محمد فوزى - الضابط المحترف - قيادة عبد الحكيم عامر ، الذى كان أحد قادة ثورة التغيير . وكان على الفريق فوزى إقناع أعضاء الثورة بآرائه الفنية ، والإ أعلنها إذا لم يتجاوبوا معه ، (بعد الأتفاق مع القادة العسكريين الكبار بطبيعة الحال ؛ إذ قد تكون آراؤه غريبة غير مقبولة ، قبل أن يعلن تحديه علنا للقيادات الخاطئة) . وأتهم الفريق فوزى تقارير القيادة العسكرية بأنها مخادعة . والسؤال الذى يجب الإجابة عنه هنا هو : لماذا سكت عنها مع أنه تبين أن شخصاً مسئولا كان يقدم لعبد الناصر التقارير التفصيلية الصحيحة ؟

وجاء فى صفحة ١٦ العبارة التالية : "ولكن القائد العام منعهم من الأتصال المباشر بالقائد الأعلى عبد الناصر" .

ثم ذكر المؤلف أسم محمد فوزى وعبد المنعم رياض .

والمسألة فى حقيقتها مسألة الوطن كله . فلماذا تجاوبا مع عبد الحكيم عامر ، وهو طلب مناقض لمصلحة البلاد ؟ وقال الفريق فوزى : "ذهب جزء من القوات المسلحة إلى الحرب بالجلابيب" . ولو تدخل الفريق فى الوقت

المناسب لكان وضع الجيش والبلاد أفضل مما كانت عليه .

ويقول الفريق فوزى : "إن غياب التفاهم والتنسيق بين القيادة السياسية والقيادة العسكرية كان عاملاً أساسياً (يقصد فى الهزيمة)" . فلماذا لم يتدخل بالعقل ويمنع ذلك صيانة للبلاد والجيش ؟ فإذا لم يستمعوا له فضح المسألة أمام الرأى العام ؛ لأنها قضية الوطن المصرى والعروبة والإسلام كله وليست قضية أشخاص . وكان عليه تقديم الأستقالة مبينا ذلك فيها .

وعزا المؤلف الصراع بين القيادة السياسية والقيادة العسكرية إلى الأمن ، حيث يريد كل منهما (جمال وعبد الحكيم) أن يؤمن نفسه من غدر الآخر منذ أنفصال سوريا .

ترى لو كان ذلك صحيحا ، فلماذا بقى كلاهما فى منصبه بعد أن خيم الخطر الحقيقى على البلاد كلها ؟

ألم يكن فى البلاد من يحرص عليها فيرفع عنها كابوس الرجلين المتسلطين ؟ وكان بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة لا يزالون موجودين . فلماذا لم تحركهم وطنيتهم وشعورهم بالمسئولية ؟

٦ - مسألة الضربة الأولى فى حرب ١٩٦٧م تحتاج إلى مراجعات كثيرة ودراسة مستفيضة . إن عبد الناصر مسئول مسئولية مباشرة عنها وعن نتائجها . وكانت جميع الأعتبارات توجب إقصاءه ومحاكمته فوراً بدلاً من القرارات غير المسئولة التى أتخذت ببقائه فى السلطة بعد المظاهرات الحاشدة التى قامت فى مصر لتأييده ؛ وهى معظمها مصطنعة من العصبة الحاكمة ، وعلى رأسها جمال نفسه ؛ فإن عمال السكة الحديدية والمصانع

الحكومية يكوِّنون مئات الألوف . فأى غرابة فى جمعها ودفعها فى مظاهرات ؟! والمصريون يعلمون قدرة السلطات الحاكمة فى مثل تلك الظروف على تدبير هذه المظاهرات .

هذا مع العلم بأنى أرى الإبقاء على عبد الناصر لوحده من بين المسئولين عن النكبة الكبرى فى منصبه لعلاقاته الشخصية مع زعماء موسكو وتيتو فى يوغوسلافيا وشوإن لاى فى الصين ونهرو فى الهند ، ولكى يرتق الشق الكبير نتيجة هذه الحرب مع إسرائيل .

ألم يكن من واجب جميع الجهات السياسية والعسكرية الأنقضاض عليه وتوقيفه ومحاسبته قبل إطلاقه ليعمل ما يمكن عمله ؟!

ويعزى المؤلف موقف جمال عبد الناصر إلى أن "الظروف الدولية غير مؤاتية ... وأن الضربة المسبقة تحتاج إلى معلومات أكيدة على أن الخصم سيقوم بعدوان عليك ... لأن وضع مصر لم يكن على المستوى الدولى مريحاً" . وهذا هو الفرق بين الشجاعة والتردد ؛ بين القيام بالواجب الصحيح وتحمل المسئولية .

٧ - فرض عبد الحكيم على جمال عبد الناصر "حظر التدخل فى القوات المسلحة" . وقد كره الناس فى مصر قيادتهم بعد أن تحولت إلى دولة شرطية. كانوا جميعاً شركاء فى حكم البلاد . ولكن العملية العسكرية كانت تتطلب شيئاً آخر .

٨ - هناك شك كبير فى أنه : "بعد أن بدأت المعركة ترك عبد الناصر عبد الحكيم عامر يدير المعركة دون أن يتلهف على نتائجها الأولية ، وعلى

ما يمكن إنقاذه سياسيا أو عسكرياً ، وكأنه يحقق أملاً طال انتظاره" .

وهذا أتهام خطير بكل صراحة !!

وفى يقينى أن هذا مخالف للحقيقة والوقائع . ذلك لأننى كنائب لرئيس الوزراء فى العراق وبقية الوفد العراقى الذى يضم نائب رئيس الوزراء الآخر طاهر يحيى وشاكر محمود شكرى وزير الدفاع وعبد الرزاق محى الدين وزير الوحدة وعبد المحسن الجمالى القائم بالأعمال فى القاهرة والعقيد الركن عبد الحميد رزو مدير الحركات العسكرية ، بعد عودتنا بالسيارات من فايد - حيث هبطنا بالطائرة أضطراريا بعد الهجوم الجوى علينا وعلى القواعد الجوية المصرية - توجهنا إلى منزل جمال عبد الناصر مباشرة بمصر أول يوم فى الحرب ٥ حزيران ١٩٦٧م ، علمنا منه مدى المأساة ، وأنه أطلع على الموقف فى غرفة العمليات فى المطار العسكرى ... إلخ .

٩ - وعن موقف روسيا أقول أن من علامات أستقلال مصر أنها أتجهت إلى روسيا لشراء السلاح منها بدلا من الموردين السابقين - بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا أحياناً - وهى خطوة لقيت كل الترحيب من الوطنين العرب .

ومع أنه كانت لدى جمال عبد الناصر أتجاهات ماركسية لأسباب سياسية أى للسيطرة الكاملة على الصناعة والسوق ووسائل الإعلام ؛ فإنه أراد أن ينتفع من الجو الجديد ؛ فأعاد النظر فى سلاحه وإن أرتبط ببعض الأرتباطات ؛ منها أتساع نشاط الحزب الشيوعى فى مصر والبلاد العربية والإسلامية الأخرى الواقعة تحت التأثير المصرى . لقد فرضت فلسفة عبد

الناصر السياسية المبادئ الماركسية . وأستغلت روسيا ضعف موقفه فاندفعت بنظامها الشيوعى حتى تغلغل فى القوات المسلحة المصرية كما تغلغل فى القوات المسلحة العراقية بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨م .

وذكرت التقارير أن روسيا بقيت يومين كاملين دون أن تقدم أية مساعدة عسكرية لمصر ، وذلك حتى تتأكد من تدمير القوة العسكرية المصرية - الأفراد والسلاح والروح المعنوية . وعندئذ بدأت تقدم معظم ما أريد منها - عن طريق يوغوسلافيا ، وذلك من أجل المستقبل ، لأن الحرب أنتهت بالأنتصار الكامل لإسرائيل . وأنتفعت مصر أنتفاعاً محدوداً من روسيا بتعويضها عن السلاح بأنواعه المختلفة - بالإضافة إلى تقديم القرض الكبير والتكنولوچيا المتقدمة لإنشاء السد العالى قبل الحرب .

لقد كانت سيطرة جمال عبد الناصر على الرأى العام المصرى كفيلة بالحد من التغلغل الشيوعى ؛ كما كان للدين الإسلامى الحنيف وتغلغله فى الشعب المصرى تأثيره المهم فى تحديد الماركسية .

١٠ - وفى الخلاصة نجد أنه فى الجيش : إذا فطس حصان أو بغل ، وإذا أصطدمت سيارة أو أحترقت دراجة أو سقطت طائرة - حتى وإن حدث ذلك أثناء التدريب - يُفْتَحُ التحقيق لبيان الأسباب ومحاسبة المقصر .

ألا توجب خسارة المعركة وحلول النكبة الكبرى عام ١٩٦٧م ذلك ؟

ألا يوجب ذلك محاسبة المقصرين عن نكبة البلاد والوطن العربى والأمة الإسلامية ؟ حتى وإن كان القرار التوبيخ فقط !! ثم يثبت من يثبت فى منصبه ويحاسب الآخرون .

أليست دراسة ذلك واجبة فى هيئات الأركان وكليات القيادة ؟

وفى أثناء التحقيق سوف يجر ذلك إلى محاسبة المسئولين عن أسلوب الحكم فى الدولة الشرطية .

١١ - كان القائد القدوة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم أكثر الناس أستشارة . فأين هم من ذلك ؟!

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أكثر الناس إحساساً بالمسئولية : فإذا تعثرت بغلة فى العراق سُئِلَ عنها عمر . فأين هم من ذلك ؟! لقد ضرب أبن الأكرمين وقال : "كيف أستعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟! فأين هم من ذلك ؟!

لقد قال الرسول الكريم حفاظاً على دماء المسلمين : "إن دم المسلم أعز عند الله من أحجار الكعبة" . فأين هم من ذلك ؟!

وهل كان الجيش المصرى فى عام ١٩٦٧م إلا مجموعة من الأخطاء بسبب القيادة غير الكفؤة ؟!

ومن ثم ننتقل إلى المرحلة الثانية من مراحل الحرب .

والمرحلة الثانية وهى حرب الأستنزاف :

كان للهزيمة المنكرة والنكبة الكبرى فى عام ١٩٦٧م أثرها المأساوى على العالم العربى بأسره . وكان من الواجب تقصى أسباب هذه النكسة ومحاكمة المتسببين الحقيقيين فيها من القيادة السياسية والقيادة العسكرية على حد سواء ، بدلاً من تثبيتهم فى مراكزهم .

نعم ، قد يثبت بعضهم أو جميعهم فى مراكزهم القيادية ولكن بعد أن تجرى محاسبتهم . فإن عبد الحكيم عامر هو الذى يعتبر فى نظر الكثيرين من السياسيين والعسكريين السبب المباشر للهزيمة . وكذلك الحال بالنسبة للقائد الأعلى جمال عبد الناصر يعتبره البعض السبب المباشر فى هذه الهزيمة . والذى يقرر ذلك هو المحاكمة العادلة ، التى يتحتم بناء على قرارها أن يتقرر بقاؤه فى منصبه أو تنحيته عنه . لقد شهد كبار القادة كما شهد صغار الضباط فى القوات الجوية أن جمال عبد الناصر هو الذى سلم زمام المبادرة إلى إسرائيل لتوجه الضربة الجوية المفاجئة التى راحت ضحيتها القوات الجوية بأسرها وبالتالى القوات المسلحة المصرية .

وإنى أرى أنه من الصواب إبقاء جمال عبد الناصر فى منصبه بعد محاسبته ؛ ففى ذلك نفع كبير كما ورد ذكره . فقد بدأت مصر تعيد النظر فى موقفها . وأمضت السنوات ما بين ١٩٦٧م و ١٩٧٣م تتهيأ للمعركة بشكل جدى إلى أن توفى عبد الناصر عام ١٩٧٠م وتولى أنور السادات الرئاسة الرسمية للدولة والقيادة العسكرية للقوات المسلحة . وجزاه الله خيراً على إصراره على التحدى وتصميمه على النصر على إسرائيل وحليفتها الولايات المتحدة الأمريكية التى تضمن لها البقاء وتقدم لها ولجيشها الدعم وتشارك فى الكثير من التطورات العلمية فيه بأعتبار أن مصلحة البلدين واحدة .

والمرحلة الثالثة هى حرب رمضان / أكتوبر المجيدة :

وهى الحرب التى أنتصرت فيها مصر على إسرائيل ، وأنتصرت سوريا

والعراق أيضاً (لولا ...) لكان أنتصاراً ساحقاً . فلولا التدخل الأمريكى بكامل إمكاناتها ولولا الخيانة من جانب بعض القيادات لتبدلت نتائج هذه المعركة .

كانت الخطط رائعة وجرى تطبيقها بصورة تدعو إلى الفخر ورفعة الرأس. وجرى تبديل خطط حلفى الأطلسى ووارسو نتيجة هذه المعركة وذلك بدون أى معرفة أو تدخل من أى جهة أجنبية .

وعندما كادت إسرائيل أن تنهار عسكرياً نقلت الولايات المتحدة كل ما لديها من سلاح وذخيرة فى أوروبا والولايات المتحدة إلى الخطوط الإسرائيلية المنهارة ، فحولت بذلك مسار المعركة وتحقق على الجبهة شئ من النصر هو فى الحقيقة صناعة أمريكية وإن كانت إسرائيل قد ساهمت فيه ببعض الوسائل من أسلحة وقوات .

لقد كان الجندى المصرى فى الحقيقة مقاتلاً وطنياً مؤمناً صادقاً عندما شعر أن ظروف المعركة سليمة .

وبعد هذا العرض الموجز يلاحظ بعض المراقبين أن الأتحاد السوفيتى وقف يومين كاملين فى حرب يونيه (حزيران) ١٩٦٧م دون تدخل أو محاولة لمساعدة مصر ، وما ذلك إلا لكى يتأكد من الأنتصار الإسرائيلى الساحق ، حتى يكون له الفضل فيما بعد فى مساعدة مصر عسكرياً وسياسياً وحتى يحكم حلقات التغلغل الشيوعى فى ربوع مصر بشكل عام وفى وحدات القوات المسلحة بصفة خاصة . ولكن هذا التغلغل المنشود كان ضعيفاً بفضل من الله تعالى ثم بفضل تمسك الفرد والمقاتل المصرى بالدين الإسلامى

الحنيف والتفافه حول قيادته التى كانت تسيطر على الرأى العام المصرى وتحد من التغلغل الشيوعى فى الشعب المصرى على نحو ما أسلفنا .

وكنتيجة مباشرة لقرار السادات بطرد الخبراء والمستشارين السوفيت قبل عام من بدء المعركة فى حرب رمضان /أكتوبر/تشرين الأول ١٩٧٣م ، بقى الأتحاد السوفيتى بعيداً عن المعركة إلى ما شاء الله دون تدخل ، ولم يقبل إمداد أو إسناد القوات المصرية بالعناد ولا بالصيانة لمحركات الطائرات . ولولا الصين التى أعطت مصر محركات الطائرات وأخذت المحركات المطلوب صيانتها لكان موقف مصر حرجاً بالنسبة للقوات الجوية أولا ولباقى القوات المسلحة المصرية ثانياً .

والأستنتاج من هذا التقديم أننا يجب الأعتماد على الله أولاً ثم على أنفسنا فى تصنيع وصيانة مختلف الأسلحة .

وفى الأخير أسأل الله تعالى للأخ اللواء أركان حرب الدكتور توفيق على منصور أن يجعل هذا الكتاب فى ميزان حسناته فى الدنيا والآخرة وأن يسدد خطاه بما يرضى الله تعالى ، وينفع به الأمة الإسلامية والشعب العربى والحق الذى نصبو إليه . والله الموفق .

السيد عبد الغنى الراوى

نائب رئيس الوزراء العراقى (سابقاً) فى عهد الرئيس عبد الرحمن عارف

الرياض فى ١٥ ربيع الثانى ١٤١٤ هـ

الموافق ١ أكتوبر تشرين الأول ١٩٩٣م

مقدمة

تقع القيادة من القوات المسلحة موقع الرأس من الجسد، فإذا صلحت صلح الجسد، وإذا فسدت فسد الجسد، وتتمثل القيادة أساسا فى ملك الدولة أو رئيسها قائدا أعلى للقوات المسلحة ووزير الدفاع قائدا عاما لها ورئيس هيئة الأركان العامة نائبا له ورئيس هيئة العمليات مساعدا له، هذا بالإضافة إلى بعض الممثلين للأنشطة والأفرع لا داعى للاستطراد فى ذكرهم فى هذه الدراسة المقتضبة.

وتتلخص مهام هذه القيادة فى وضع التصور العام لاستراتيجية الدولة وتحديد الأهداف العسكرية التى تعمل هذه القيادة على تحقيقها، وتخصيص المهام إلى الأجهزة المعنية كل فيما يخصه. وبناء على ذلك تقوم هذه القيادة بتنظيم الهيكل العام للقوات المسلحة، وتحديد حجم الأفرع الرئيسية ووضع الأساليب والوسائل التى تلزم لتحقيق الأهداف، وعليها أن تخصص لها من الميزانية المالية ما يسمح بتجنيد كل الطاقات والإمكانات البشرية والمادية سعيا وراء تنفيذ تلك المهام بأعلى كفاءة قتالية وبأقل فاقد ممكن.

والقيادة كذلك مسئولة عن توصيف العدو وتحديد الصديق، وتقدير مدى كفاءة العدو ونقاط ضعفه، ومدى كفاءة الصديق ودرجة الاعتماد عليه والتعاون معه.

وعندما تنسجم أعضاء القيادة مع بعضها البعض ويكمل كل منها الآخر يصبح أداؤها متجانسا مثل الجوقة الموسيقية التى تعزف نغما متناسقا لا

شذوذ فيه ولا نشاز، والعكس صحيح؛ فعندما يتنافر أعضاء القيادة ويختلفون فى الرأى وتدب بينهم العداوة والخصام وتنقسم القيادة على نفسها وتصير الأمور إلى ضياع محتوم.

وقد انصبت هذه الدراسة فى ثلاثة قوالب، كل منها يمثل نمطا من أنماط القيادة المصرية المعاصرة؛ تفشت فى أولاها الشحناء والبغضاء فراحت القوات المسلحة ضحية لهذا التصارع وذاك الغموض. وفى الثانية حلت اليقظة والحزم فى القيادة محل التواكل والتراخى، فاشتد ساعد القوات المسلحة، وأصبحت قوة ترهب عدو الله وعدوها، وفى الثالثة تجلت القيادة بالتكامل والثقة فحققت النصر على الأعداء.

على أن المعيار النظرى الذى تقاس به هذه القيادة أو تلك يجب أن يكون حاضرا فى كل نمط من الأنماط الثلاثة، بحيث يكون مقياسا نظريا معترفا به فى علم الإدارة وفن الحرب على السواء، ذلك هو كتاب **الأمير** الذى ألفه نيقولا ماكيافيللى (١٤٦٩-١٥٢٧) Niccolo Machiavelli والذى يعتبر أحد المصادر الموثوق بها فى هذا المجال؛ وهو المرجع الذى يندر أن تخلو منه دراسة أكاديمية أو تطبيقية واعية فى مجالات الإدارة والحرب. وكيف لا وهذا المنظِّر هو القائل: «إن الوسائل كلها مبرَّرَة من أجل تحقيق السلطان السياسى»، والحرب إحدى هذه الوسائل.

وفى الفصل الأول نتناول عنصرى الصراع والغموض فى القيادة العامة المصرية فى حرب يونية ١٩٦٧م بين القائد الأعلى للقوات المسلحة ونائبه؛ ذلك الصراع الذى امتدت جذوره إلى انفصام عرى الوحدة المصرية السورية

فى عام ١٩٦١م من جهة وإلى رغبة الاتحاد السوفيتى فى اتخاذ قواعد بحرية وجوية على أرض مصر فى عام ١٩٦٦م، ورفض نائب القائد الأعلى ذلك التدخل السافر من جهة أخرى. ونتيجة لذلك خطط السوفيت لتعرية القيادة وهزيمة القوات حتى تحكم قبضتها على الأمور فى البلاد، وصادف مخططهم هذا هوى فى نفس القيادة السياسية التى طالما تمنت إزاحة هذه القيادة العسكرية التى حرمتها من إحكام السيطرة الكاملة على القوات المسلحة، وتم لهم ما أرادوا، ونشبت الحرب وانتهت بالهزيمة، وأزيلت القيادة العسكرية التى كانت سببا فى الهزيمة وحلت مكانها قيادة عسكرية أخرى أكثر صلابة وأعلى كفاءة من سابقتها، وامتدت يد السوفيت لتحكم قبضتها لا على القوات المسلحة فحسب، بل على الاقتصاد المصرى بأسره.

وفى الفصل الثانى نستعرض نمطا ثانيا من أنماط القيادة.. قيادة أكثر يقظة وأمضى عزما وحزما، قيادة تلاحمت مع القوات فكانت قدوة تقتدى ومثالا يحتذى، قيادة تحلت بصفات علمية وعسكرية مكنتها -بالتعاون مع الخبراء والمستشارين السوفيت- من إعادة بناء المقاتل المصرى وإعادة بناء القوات المسلحة حتى تفوقت على العدو الإسرائيلى فى كثير من الأمور، وأصبحت جاهزة لاسترداد الأرض المغتصبة، وأبدعت فيما يعرف بحرب الاستنزاف فى الفترة من ١٩٦٧ حتى ١٩٧٣م، تلك الحرب التى أرهقت القوات الإسرائيلية، وحطمت نظرية الأمن الإسرائيلى، وخطأت شعارات الجيش الإسرائيلى الذى لا يهزم، وراح العدو يلح فى طلب وقف إطلاق النار.

ونختتم فى الفصل الثالث بنمط رائع من أنماط القيادة المتناغمة المتكاملة الواثقة بالنصر، ففيها يتجلى الولاء للقائد الأعلى رئيس الدولة، وفيها يتوفر العلم الاستراتيجى والخبرة التكتيكية والتنسيق العملياتى الدقيق، وفيها يمتد التنسيق والخبرة والعلم بعمق فى قيادات الأفرع الرئيسية والتشكيلات الميدانية والوحدات، لقد كانت القيادات على امتدادها الأفقى والرأسى مهيأة تماما لتعزف جميعا معزوفة النصر، رائعة متناغمة يطرب لها الأصدقاء ويرتعد منها الأعداء فى جميع أنحاء العالم قاطبة، تلك هى أنغام النصر فى حرب رمضان ١٣٩٣هـ -أكتوبر ١٩٧٣م.

وقد ارتكزت الدراسة على أقوال وتصريحات اثنين من دعائم هذه الجولات الثلاث على وجه العموم، وهما العقل المفكر والطاقة المحركة فى الحربين الأخيرين على وجه التخصيص، وهما الفريق أول محمد فوزى -بطل حرب الاستنزاف- والمشير محمد عبد الغنى الجمسى -بطل حرب رمضان- أكتوبر (مخططها ومنسقها).

على أن أحداث هذه الحقب الثلاث وشخصياتها لاتزال ماثلة فى ذهنى، وأنا المشارك فيها جميعا: اكتويت بنار الأولى وتصببت عرقا فى الثانية وتغنيت بانتصارى فى الثالثة، فقد كنت رئيسا لعمليات ورئيسا للأركان بالإنابة للمجموعة الأولى خفيفة الحركة التى عرفت باسم «مجموعة الشاذلى» نسبة إلى قائدها اللواء سعد الشاذلى، والتى تمركزت على الحدود المصرية الإسرائيلية، وتلقت تعليمات هجومية باختراق الحدود ودخول الأراضى الفلسطينية المحتلة والوصول إلى مناطق الخلصة والعسلوج؟

والإغارة على القوات الإسرائيلية التى تتجمع بها بعد تدعيم المجموعة بالطلعات الجوية اللازمة، ولكن المجموعة لم تهاجم كما كان مأمولا، بل انسحبت مثل باقى الوحدات والتشكيلات فى فجر يوم ٧ يونية، وكانت منها الكتيبة ٤٣ صاعقة بطلة معركة رأس العش فى يوم ٨ يونية ١٩٦٧م.

وتنقلتُ فى عدة وحدات وتشكيلات أثناء حرب الاستنزاف: رئيسا لعمليات اللواء الرابع عشر المدرع، ثم قائدا للكتيبة ٢٤٠ المدرعة من اللواء الثالث المدرع فقائدا بالإنابة، ورئيسا لأركان اللواء الرابع والعشرين المدرع (تشكيل جديد)، فقائدا لجناح التكتيك والتدريب فى معهد المدرعات، ثم رئيسا لقسم التفتيش والمتابعة فى قيادة الجيش الثانى الميدانى، ثم باحثا فى هيئة البحوث العسكرية.

وفى حرب رمضان/أكتوبر المجيدة توليت قيادة مدرعات الغرفة التاسعة عشر المشاه فى الجيش الثالث الميدانى، فقائدا لمدرعات الجيش أثناء الحصار، وفى كل موقع من مواقع المسئولية هذه كان لى من النشاط البارز والإبداع المسجل فى السجلات ما كان جديرا بالتقدير فى كافة المناسبات، فلا غرو إذن أن تكون الأحداث والشخصيات مرسومة فى ذاكرتى محفورة بعمق فى تجاويف العقل فى مناطق الوعى واللاوعى على السواء.. أحمد الله على أن كللها جميعا بالتوفيق النصر.

والغرض من هذه الدراسة هو تقديم خبرة القتال المكتسبة فى الحروب الثلاثة -يونية١٩٦٧م والاستنزاف ورمضان/أكتوبر ١٩٧٣م- فى موجز عن تشكيل وخصائص القيادات فى الحقب الثلاث، بحيث تهيىء للقارىء العسكرى المتخصص الدخول فى تفاصيل الدراسة التكتيكية لأعمال قتال

التشكيلات الميدانية والوحدات كل على حدة فى الحروب الثلاثة.

لقد تاهت معالم الهزيمة منذ وقعت واقعتها حتى يومنا هذا؛ فلم تصدر الجهات المختصة دراسة رسمية بتفاصيل الوقائع على جبهة القتال، وراح الناس يتخبطون بين الشائعات المغرضة وبين الدراسات المتنوعة التى بثها العدو الإسرائيلى، ونشرتها دور النشر الصديقة له تمجيدا لانتصاره وإذلالا لخصومه وتقليلا من شأن أعدائه، وقد سبق أن تقدمت بدراسة رائدة مستفيضة لجهات الاختصاص عن أعمال قتال الوحدات والتشكيلات فى حرب يونية ١٩٦٧م، ولكنها تعرضت لكثير من أنواع «القرصنة» و«البغضاء» أملا فى الاقتباس منها والاقتداء بها وتقديم ما هو أفضل منها؛ ولكن شيئا من الإصدارات لم يحدث حتى الآن، وكل ما فعلته أن أسلمت وجهى للذى فطرنى، وأودعت عملى فى مكتبتى وأغمدت قلمى فى جرابى حتى يحين الوقت المناسب لأشهره فى وجه الحاقدين.

ولعل هذه الدراسة العسكرية الأكاديمية الميدانية تكون نبراسا لمن يتصدون للكتابة فى موضوعات التاريخ العسكرى لكى يقرنوا الأحداث العملية بالنظريات الأكاديمية ويقارنوا بين شيء حدث مؤخرا وآخر حدث منذ قديم الزمان، وفى بقعة غير البقعة، وفى ظروف غير الظروف، حتى يكونوا صادقين فى عرض النصائح، وتقديم التوصيات، واستخلاص الدروس المستفادة للأجيال التى شاء لها القدر أن تحمل رايات النصر التى رفعها جيلنا أملا فى الحفاظ عليها عالية خفاقة بإذن الله.. والله الموفق.

د. توفيق على منصور

الصراع والغموض فى القيادة العامة فى حرب يونية ١٩٦٧م على ضوء نظريات ماكيافيللى

الوفاق والوضوح بين ممثلى القيادة السياسية والقيادة العسكرية عنصران جوهريان من عناصر نجاح القيادة العامة للقوات المسلحة فى تنفيذ المهام الموكلة إليها واستثمار نتائجها على الوجه الأكمل ، أما التصارع على السلطة والغموض فى موقف القوات الذى تقدمه القيادة العسكرية للقيادة السياسية ، والقرارات السياسية العشوائية الصادرة إلى القيادة العسكرية، فلا يمكن أن تجنى القيادة من ورائها إلا الفشل الذريع والهزيمة الساحقة .

وفى هذا الصدد نستعرض أحداث حرب يونية ١٩٦٧م ، وما لحق بالقيادات والقوات المسلحة المصرية من هزيمة ودمار نتيجة تعمية القيادة العامة حقيقة الموقف بالقوات المسلحة، وحرمان القيادة العليا من معرفة مدى قدرتها على تنفيذ المهام تدريبيا وتسليحيا ومعنويا ، وما ترتب على ذلك من رد فعل للقيادة العليا التى أصدرت أوامر بالتعبئة والحشد غامضة غير مدروسة، فلم تستوعبها القيادة العامة، ولم تدرس أبعادها، وبالتالى أصدرت تعليمات خاطئة إلى القوات التى راحت تتحرك علي غير هدى، وتتخبط فى أعمالها حتى اجتاحتها القوات الإسرائيلية فجأة وهى لم تستقر بعد .

لقد طرحت هذه الهزيمة الكثير من التساؤلات، كما رسمت العديد من علامات التعجب والاستنكار التى مازالت أسرارها غامضة رغم ما تناولتها

من أقلام للكتاب والباحثين والدارسين فى مراكز البحوث الاستراتيجية وغيرها بالتحليل والتمحيص، وفى هذه الدراسة نحاول أن نتناول هذا الموضوع -الصراع على السلطة وغموض الموقف وتخبط القرارات- بشكل علمى وبطريقة مختلفة عما سبقنا إليه الكتاب، لعلنا نتجرد من ذاتنا المحبة إلى أحد الأطراف أو الكارهة للآخر، بل ننظر إلى الأمور نظرة ناقد مسرحى لمسرحية عاشها وشاهد أحداثها وعرف شخوصها؛ نتناولها من حيث تسلسل الأحداث وتوصيف الشخصيات والتنقيب عن الدوافع والغايات الظاهرة والكامنة فى نفوسهم؛ فلعلنا بعد تغيير نمط المعالجة وزاوية التناول نقترب من حل لتلك الألغاز التى ترسم أشباحها صورا لعلامات الاستفهام والتعجب، ونقتنع بخلاصة التحليل إلى أن تصدر الجهات المعنية حكمها العادل الذى يبرىء ساحة الأبرياء ويدين من يستحق الإدانة.

كان بودى أن أترك الأحداث تسير وأن استبدل أسماء القادة بأسماء رمزية أو أرقام حتى لا يؤثر فى نفوسنا بريق أحدهم أو خفوت الآخر، ولكن بسهولة التصور مع التزام النزاهة فى العرض والتحليل رأينا أن تظل الأسماء كما هى.

وكانت القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية يقودها القائد الأعلى للقوات المسلحة الرئيس الأسبق جمال عبد الناصر، ومن دونه القائد العام للقوات المسلحة المشير عبد الحكيم عامر -نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة- والفريق أول محمد فوزى -رئيس أركان حرب القوات المسلحة- والفريق عبد المنعم رياض -نائب القائد العام والفريق أنور القاضى -رئيس

هيئة العمليات، وهناك قيادات أخرى تابعة لها، وهى قيادة القوات البرية بقيادة الفريق أول عبد المحسن كامل مرتجى -قائد الجبهة- وقيادة المنطقة العسكرية الشرقية بقيادة الفريق صلاح محسن -قائد الجيش الميدانى- وسيقتصر حديثنا فى هذه الدراسة على القيادة العامة للقوات المسلحة فقط.

وفى كتاب **فلسفة الثورة** (١٩٥٤م) أشار عبد الناصر إلى أن «هناك دورا بطوليا رائعا فى المنطقة العربية يبحث عن بطل»، كان يتطلع إلى أن يكون هو البطل لا فى المنطقة العربية فحسب، بل فى أفريقْيا وكافة بلاد المسلمين، وربما قرأ **أوديسة** هوميروس وأعجب ببطلها أوديسيوس فاتخذه نمطا جماعيا قديما Archetype كما يقول العالم كارل جوستاف يونج Carl Gustav Jung، والمعروف أن البطل الهومرى واسع الحيلة اقتحم أسوار مدينة طروادة التى استمر جيش أجاممنون الإغريقى يحاصرها عشرة أعوام، لم تستسلم إلا عندما دخل أوديسيوس ومعه مجموعة من المقاتلين الأشداء داخل حصان خشبى والتزموا الصمت حتى تظاهر الجيش الإغريقى بالانصراف وأقلعت بهم سفنهم عائدة إلى بلادهم تاركين وراءهم ذلك الحصان الخشبى الذى أعلنوا أنه مقدس، ومالبث جنود طروادة أن أدخلوا الحصان بعد أن شعروا بالأمن والأمان وفتحوا له الأبواب وأدخلوه داخل الأسوار وراحوا يحتفلون بهذا الحصان المقدس حتى منتصف الليل حين نام الحراس، وهنا انقض عليهم أوديسيوس وجنوده خارجين من داخل الحصان وإنهالوا عليهم طعنا بالسيوف والرماح حتى أردوهم جميعا قتلى، ثم أعطوا إشارة للجيش الإغريقى الذى تظاهر بالإبحار، **فعاد الجيش ودخل المدينة واستولى عليها**،

وفى رحلة العودة إلى دياره Ithaca ظل أوديسيس يدور بسفينته فى البحر المتوسط يبرح على جزره وموانيه لمدة عشرة أعوام أخرى مليئة بالمغامرات والمؤامرات قبل أن يعود إلى مملكته ويلتئم شمله مع أبيه العجوز Laertes وزوجته المخلصة Penelope وولده الشاب Telemachus[1].

وبمقارنة عبد الناصر بالبطل الهومرى نجد أنه واجه من المواقف الصعبة مثلما واجه البطل الإغريقى، وتصرف بحكمة مثلما تصرف، لقد حطم جميع الحواجز المادية والمعنوية والعسكرية التى كانت تحجب قناة السويس عن بلدها الأم «مصر»؛ فانقض عليها واستخلصها من براثن بريطانيا وفرنسا، الأمر الذى أثار ثائرة هاتين الدولتين العظميين ودفعهما إلى التحالف فيما بينهما، واتخاذهما إسرائيل حليفا ثالثا؛ وشنوا جميعا على مصر ما سمى بالعدوان الثلاثى فى عام ١٩٥٦م، وتصدى عبد الناصر ومن خلفه جيش مصر وشعبها لإسقاط كل من بريطانيا وفرنسا من برجهما العاجى إلى مرتبة دول الدرجة الثانية.

كما تصدى لكثير من المخططات المعادية لمصر وشعبها مثلما تصدى بطل الأوديسا فى مواقف ملحمية؛ إذ بنى السد العالى وأنشأ جيشا قويا وحارب الاستعمار البريطانى والفرنسى فى قارتى آسيا وأفريقيا، وساند الفلسطينيين فى كفاحهم ضد قوى العدوان الإسرائيلى.

ويهذا يكون عبد الناصر قد لعب أولى مراحل الدور البطولى الرائع الذى

---

(١) Charles W. Eliot, ed., The Harvard classics: Vol.22 The Odyssey of Homer, tr. S. H. Bucher and A. lang, (New York: P. F. Collier&Son Corporation, 9165), PP. 12-14.

يبـحث عن بطل يؤديه فى المنطقـة العـربيـة، وهو الدور الذى ألمح إليـه فى كتاب «**فلسفةالثورة**».

وكان عـبد النـاصر يحلم بالوحدة العربيـة تحت قيـادته، وكانت فـرحـتـه بالوحدة مع سوريا فى عام ١٩٥٨م -بصفتـها النجمة الأولى التى تتألق فى سمـاء الوحدة العـربيـة وترصّع علمـهـا المرتقب ذى الألوان الثـلاثة الأحـمر والأبيض والأسـود إلى جـانـب نجـمـة مـصـر- لا تقـدر بثـمن، ولكن سـوريا انفصلت فى عـام ١٩٦١م فى وجود المشير عبد الحكيم عـامر بها، وظن عـبد الناصر أن عبد الحكيم -صديق عمره- بسلوكه ذاك الذى عـابه السوريون قد بدد حلمه الذى طالما تاق إلى تحقيـقه فدق بذلك أول مسـمار فى نعش هذه الوحـدة، ولكن عــبـد النـاصـر لم يرفع النجـمــة من العلم، ولم يغـيــر اسم «الجـمـهـورية العربيـة المتـحدة» أمـلا فى تجدد الحلم مرة أخـرى، ومنذ ذلك الوقت بدأت تنبت بذور الشـقـاق بين القـائد الأعلى للقوات المسلحـة والقـائد العام. وتمسك عبد الحكيم بضرورة إحكام قبضته على القـوات المسلحة؛ فـهى صمام الأمان بالنسبة له، ولم يترك للقائد الأعلى فرصة التعرف على موقفها ومستواها، وحرمه من حق تعيين قادة الفرق والألوية[٢]، وخشى عبد النـاصر من جـانب القـوات المسلحـة فـوضع صـمـامـا للأمـن هو الفريـق مـحـمد فـوزى رئيسا لهيئة الأركان العامة، وعين الفريق عبد المنعم رياض نائبا للقائد العام دون أن يكون لهما دور فعلى فى إدارة دفة الأمور فيها.

---

(٢) خشى عبد الحكيم عـامر من غدر الزمان ومن كيـد عبد النـاصر الذى أخذ يتحلل من رفـقـائه أعضـاء مجلس قـيادة الثورة فـيضطرهم إلى الاستقـالة أو يقليهم ومنهم كمـال الدين حسين وعبد اللطيف بغدادى وحسن إبراهيم.

ويتحدث الفريق فوزى عن عزل القيادة السياسية عن القوات المسلحة فيقول:

ومن ضمن الحقائق الرهيبة التى تعكسها هذه الفترة أن التقارير العسكرية التى ترفع من القيادة إلى عبد الناصر كانت محددة بالشروط الآتية:

١ - لابد أن يطلع عليها أولا صلاح نصر -مدير المخابرات العامة- أو شمس بدران -وزير الحربية- أو عباس رضوان -وزير الداخلية.

٢ - أن تتضمن معلومات تتعلق بأمن الدولة، أو أمن القوات المسلحة، أو معلومات تتعلق باستراتيجية الدولة، من دون أن تكون فيها أية إشارة عن قدرات القوات المسلحة.

وإذا ترجمنا هذا الكلام فسنجد أن عبد الحكيم عامر نجح فى فرض حصار على جمال عبد الناصر فى شئون الدفاع والقوات المسلحة ، وهذا ما دفع عبد الناصر إلى تمرير مشروع إلى مجلس رئاسة القوات المسلحة عام ١٩٦٢م ، ينص على أن يكون تعيين قائد الفرقة وقائد اللواء بواسطة مجلس الرئاسة وليس بواسطة عبد الحكيم عامر، وهنا خبط المشير على المنضدة وترك الجلسة ، وقدم استقالته إلى الرئيس عبد الناصر ثم سافر إلى مرسى مطروح للانتجاع، والغريب أنه بنى اسنقالته على أساس غياب الديمقراطية التى لم يكن مؤمنا بها أبدا ، وليس على السبب الحقيقى وهو محاولة عبد الناصر سحب البساط من تحت قدميه فى القوات المسلحة ، لكن عبد الناصر لم يتمسك باقتراحه لدواعى

التوازنات وأعاد صلاحيات عبد الحكيم عامر كما هى[٣].

وإزاء هذا التحدى الصارخ من عبد الحكيم أسرّها عبد الناصر فى نفسه، ولم يرضخ إلا ظاهريا لتحدى عبد الحكيم، إن من سمات عبد الناصر البارزة ضبط النفس والتدبير المحكم والتكتم الشديد شأنه فى ذلك شأن أوديسيوس، يظهر ذلك فى احتفاظه بمفرده بأسماء تنظيم الضباط الأحرار الذى شكل نواته الأولى فى السودان حين التقى بعبد الحكيم عامر وأنور السادات وزكريا محيى الدين منذ عام ١٩٤٢م أى قبل عشر سنوات من قيام الثورة، واتخذ ذرائع لطرد الملك فارق معلنا أنه شارك فى توريد صفقة الأسلحة والذخيرة الفاسدة للجيش؛ وأنه دفع الجيش المصرى إلى فلسطين فى عام ١٩٤٨م ليتخلص من زمرة الضباط الأحرار الذين يخشى بأسهم.

ونعلم أنه يدبر ويكيد منذ تولى الرئيس محمد نجيب رئاسة مجلس قيادة الثورة ثم رئاسة الجمهورية، إذ بقى عبد الناصر مراقبا فى الظل لمدة ثلاث سنوات حتى ازدادت شعبية نجيب فأتى عبد الناصر بذريعة أعلنها المتحدث الرسمى تقول: «إن نجيب يسعى للإنفراد بالحكم الدكتاتورى ويميل للشيوعية ويتستر على الإخوان المسلمين»، ولكى يتخلص من الإخوان المسلمين تذرع بأنهم حاولوا اغتياله فى ميدان المنشية بالإسكندرية، بينما هو يخطب فى جموع الجماهير المحتشدة، وبذلك قضى عليهم وعذبهم وشردهم، ولم يكن تدبيره محليا فقط، بل تجاوز نطاق الإقليمية إلى العالمية عندما أمم قناة السويس ليبنى بعائداتها السد العالى بعد أن سحبت

(٣) الفريق أول محمد فوزى يتذكر حرب ١٩٦٧م -حوار عمرو عبد السميع، **الوسط** العدد ١٨- الصادر فى ١/٦/١٩٩٢م، ص٢٤.

بريطانيا الولايات المتحدة عروض التمويل.

وعبد الناصر خصم عنيد على المستوى الشخصى وعلى المستوى الدولى، فلعله ظل يتحين الفرص ليفك أسر القوات المسلحة من قبضة عبد الحكيم عامر وزمرته ويستعيد لنفسه ما فقد من هيبة عسكرية سلطان سياسى يستند إلى القوة العسكرية.

ومن صلاحيات القائد الأعلى للقوات المسلحة أن يقصى من يخالف إتجاه مسيرته، وهى صلاحيات تكفلها الشرائع السماوية: «وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم»، كما يكفلها منظرا الإدارة وفنون القيادة.

يقول ماكياڤيللى فى **كتاب الأمير**:

عندما ترى وزيرك يفكر فى نفسه أكثر مما يفكر فيك أيها الأمير، وتلاحظ أنه يتخذ من الإجراءات ما يحقق أهدافه هو، إعلم بأن هذا الوزير لا يصلح لأن يكون وزيرا مناسبا، وبالتالى لن يكون موضع ثقتك!!

ولهذا فمن حق القائد أن يدين له كافة المرؤوسين بالولاء والطاعة، فإذا ارتضى لنفسه التنازل عن شىء من اختصاصاته وصلاحياته لضعف أصابة أو لعلة فى نفسه فقد ارتكب إثما عظيما، وانتقص من قدره وقلل من شأنه فى نظر مرؤوسيه، وبالتالى فى نظر الدول الصديقة والمعادية التى لابد أن تستشعر موقفه الحرج دون أن يعلم هو ذلك.

لقد انتقصت تصرفات عبد الحكيم فى القوات المسلحة من صلاحيات عبد الناصر، والسؤال الذى يطرح نفسه هنا هو: لماذا ارتضى عبد الناصر لنفسه هذا الموقف؟ وما هى نواياه ومخططاته لاسترداد ما فقد من سلطان؟

عرف الصديق والعدو أن عبد الناصر كان خصما شديد المراس لا يقبل التحدى، وإنما يرد الصاع صاعين، وهو يمهل ولا ينسى، ويظهر ذلك فى تصرفاته الشخصية وفى تعامله مع الدول فى المواقف الصعبة.

يقول الصحافى المحاضر روبرت سان جون Robert St. John:

For more than a year Nasser Kept his real role so well hidden that astute foreign correspondents were unaware of his existence, but in the spring of 1954, in a coplicated series of intrigues, Naguib was deposed and placed under house arrest, and Nasser emerged from the shadows and named himself prime minister....... He knew the loneliness of power(4).

وإليك ترجمة هذه السطور:

ظل عبد الناصر يخفى دوره الحقيقى جيدا لدرجة أن الأذكياء من المراسلين الصحافيين الأجانب لم يتبينوا وجوده، ولكن فى ربيع عام ١٩٥٤م وفى سلسلة معقدة من المؤامرات نُحِّىَ نجيب عن الحكم وأودع فى منزله تحت التحفظ وظهر عبد الناصر من دائرة الظل وأسمى نفسه رئيسا للوزراء... وتمكن من التفرد بالسلطة.

لقد أثرت نشأة عبد الناصر الأولى فى بناء شخصيته، وتكوين سلوكه،

(٤) Robert St. John, "Nasser, Gamal/Abdel", **The New Encyclopaedia** Britannica, Vol. 8 (chicago: Encyclopaedia Britannica Inc., 1985), P. 525.

وجمال عبد الناصر (١٥ يناير ١٩١٨- ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠) ولد فى منزل متواضع فى شارع غير مرصف فى حى باكوس بمدينة الإسكندرية، حيث كان والده يعمل رئيسا لمكتب البريد هناك(٥).

ثم انتقل والده إلى قرية الخطاطين فى محافظة البحيرة، حيث تلقى جمال تعليمه الابتدائى قبل أن ينزح إلى القاهرة ليقيم مع عمه الذى خرج توا من أحد السجون البريطانية وسكن فى إحدى العمارات التى تسكنها تسع عائلات يهودية، وكان كثير الشغب مع مدرسيه الذين كان معظمهم من الإنجليز، كما شارك فى المظاهرات التى تنتظم الشوارع ضد الإنجليز، دخل الكلية الحربية وتخرج ملازما، وخدم فى السودان، وشارك فى حرب فلسطين ١٩٤٨م، وفى حصار الفالوجا كان على اتصال بالضباط اليهود، وشكل تنظيم الضباط الأحرار لخلع الأسرة الحاكمة وطرد الإنجليز من مصر، فى سنة ١٩٥٢م تولى الرئيس محمد نجيب شئون البلاد بعد خروج الملك فاروق ولم يظهر عبد الناصر إلا فى عام ١٩٥٤م، حيث تولى رئاسة مجلس الوزراء، ثم رئاسة الجمهورية، وقَّع معاهدة مع بريطانيا فى عام ١٩٥٤م غادرت بموجبها جنودها البلاد فى عام ١٩٥٦م، ثم وقع اتفاقية سرية مع تشيكوسلوفاكيا فى عام ١٩٥٥م لشراء الأسلحة والمعدات، وعلى أثر تأميم قناة السويس قامت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل بالعدوان على مصر فى عام ١٩٥٦م خرجت منها بنصر سياسى ساحق، وظل يحكم مصر رغم تعدد

(٥) من أجل أن يربط نفسه بالريف ويتودد إلى طبقة الفلاحين أعلنت أجهزة الإعلام أنه ولد فى قرية بنى مر وهى قرية فى صعيد مصر.

المتاعب والكراهية والحقد عليه من الشيوعيين واليهود والأحزاب السياسية والجماعات العسكرية المنشقة والإقطاعيين الذين جردوا من ممتلكاتهم ومؤيدى الرئيس محمد نجيب وبقايا مخلفات الاستعمار الأجنبى، وبالرغم من هذا كله كان محافظا فى أسرته معتدلا فى تصرفه بسيطا فى حياته الخاصة، يتصرف فى المواقف الصعبة كما يتصرف البطل الأسطورى.

أما عبد الحكيم عامر فلم تتوفر معلومات عنه لا فى المصادر العربية ولا فى الأجنبية، ولكن ما أشيع عنه بين الجماهير وفى داخل القوات المسلحة لا ينبغى ذكره فى هذا المجال، وقد ولد فى الصعيد، وهو من أسرة متيسرة، وكان بسيطا طيب القلب، ولكنه لم يكن ملما بالفنون العسكرية التى تؤهله لكى يكون قائدا عاما للقوات المسلحة فى مواجهة جيش مدرب ومسلح ومنظم بدقة، والحق يقال: إنه كان يحب الديمقراطية ويكره الشيوعية، ويحاول جاهدا ألا يعطى الفرصة للاتحاد السوفيتى للنفوذ إلى داخل القوات المسلحة أو الحصول على امتيازات بحرية أو جوية.

ولم تكن لدى عبد الحكيم عامر موهبة عسكرية مثل هانيبال (٢٤٧-١٨٣ق.م)، الذى اكتسب سمعة طيبة فى الحزم وفن القيادة يحكى عنه أنه «قاد جيشا ضخما ينتظم تحت لوائه جنودا من حشيات ودول شتى جلبهم تحت قيادته للقتال فى دول أجنبية، ولم يحدث أى نزاع أو خلاف بين الجنود أنفسهم، وكذلك لم يحدث أى تمرد منهم على قياداتهم سواء أكان ذلك فى أوقات الرخاء أو فى أوقات الشدة، يرجع الفضل فى ذلك إلى القسوة المتسامية ذات الشفافية Transcendent cruelty، وهى الصفة

التى اتصف بها هانيبال إلى جانب صفات أخرى عظيمة جعلته محترما ومرهوبا من جنوده فى وقت واحد، وبدون تلك الصفة، أعنى القسوة لا تبرز الفضائل الأخرى نتائج مماثلة لما قدمه جيش هانيبال[٦].

ويصف المشير محمد عبد الغنى الجمسى كفاءة المشير عبد الحكيم عامر فى قيادة القوات المسلحة فى حرب ١٩٦٧م فيقول: «لم تكن لدى القوات المصرية قيادة عسكرية محترفة، فلا عبد الحكيم عامر -نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة- ولا شمس بدران -وزير الحربية- أنذاك كانا مؤهلين لقيادة القوات المسلحة بحكم خدمة كل منهما الطفيفة فى العمل العسكرى والدرجة المحدودة من العلم العسكرى التى تلقاها، باختصار.. لا تأهيل ولا تشكيل!![٧]».

ويؤكد ماكيافيللى على أن القائد «الذى يجهل الشئون العسكرية بالإضافة إلى عيوب أخرى لا يمكن أن يحترمه جنوده ولا يمكن أن يثق فيهم»، ولهذا يجب على الأمير ألا يغفل الشئون العسكرية، بل على العكس يجب أن يشغل نفسه بها فى وقت السلم أكثر منها فى وقت الحرب، هذا يمكن اكتسابه بالتدريب والدراسة، ويجب عليه أن يأخذ نفسه بالحزم والشدة حتى يكون على مستوى الكفاءة فى التدريب والانضباط التى اكتسبها الجنود، ويجب أن يعرف طبيعة أرض بلاده وأن يعرف كيف يدافع

---

(٦) Charles W. Eliot, ed., Niccolo Machiavelli: The Prince, The Harvard classics, tr. N. H. Thomson, (New York: P. F. Colliers&Son Corporation, 1965), PP. 55.56.

(٧) المشير محمد عبد الغنى الجمسى، الوسط العدد ٣٥ -الصادر فى ١٩٩٢/٩/٢٨م، ص ٣١.

عنها أن يقف على إمكاناتها ومواردها للتعبئة وقت الحرب[٨].

كان عبد الحكيم يجهل الكثير من تفاصيل العلم العسكرى، وكان عبد الناصر على العكس منه يحاول جاهدا أن يعرف أوضاع وكفاءة وموقف القوات المسلحة بالرغم من الحصار الذى فرضه عليه عبد الحكيم، إذ كانت هناك فئة من القادة تتصل برئاسة الجمهورية، وفئة أخرى تتصل بالقيادة العامة، وفئة ثالثة تعمل لحساب مجلس قيادة الثورة، ويقول اللواء فاروق فهيم: «وكان أحد هؤلاء الناس يذهب كل أسبوع لمقابلة جمال عبد الناصر لإعطائه تقريرا عن القوات المسلحة... يعنى المعلومات كانت تصل بطريقة أو بأخرى، وكان هناك الكثير من أجهزة الاستخبارات والمعلومات تعمل لصالحه دون علم القيادة العامة[٩]».

ويدلنا الموقف العام للقوات المسلحة قبل عام ١٩٦٧م على أنه «هاجس أمن النظام» كان مسيطرا على الفكر السياسى والفكر العسكرى حتى عام ١٩٦٧م، أى أن الدولة كانت تدار بأسلوب الأمن، وعبد الحكيم عامر قاد القوات المسلحة بأسلوب الأمن، وليس بالأسلوب العسكرى الصحيح[١٠]، ولهذا لم تكن القوات جاهزة... كان جزء كبير منها فى اليمن، ولم يكن الموجود من هذه القوات فى مصر قادرا على النهوض بتنفيذ الخطة الدفاعية فى سيناء.

وكانت هناك توصية -ربما كانت سوفيتية بتسكين الجبهة مع إسرائيل.

---

(٨) Machiavelli, Op. Cit., PP. 48,49.

(٩) فاروق فهيم اللواء، **الوسط** العدد ١٩ الصادر فى يوم ١٩٩٢/٦/٨م، ص ٢٧.

(١٠) الجمسى، نفس المصدر، ص ٣١.

ويقر الفريق أول محمد فوزى أن تقارير القيادة العسكرية المقدمة إلى رئيس الجمهورية كانت مخادعة، وبالذات تلك التى تتعلق بقدرة القوات الجوية، ففى الوقت الذى خدعت فيه القيادة العسكرية عبد الناصر بشأن استعدادات القوات الجوية فإن القوة الهجومية الضارية لهذا السلاح لم تكن دخلت الخدمة بعد، وهى الممثلة فى ٥١ طائرة قاذفة مقاتلة سوخوى-٧، إذ كانت موزعة على مخازن العامرية (غرب الإسكندرية) وغرب القاهرة وأنشاص (شرق القاهرة)، ولم يتم تركيب سوى خمس طائرات منها فقط[١١].

ولكى يحتفظ عبد الناصر بالتوازن فى هذه القيادة المخادعة اختار كما يقول ماكيافيللى «بعض المستشارين المشهود لهم بالكفاءة والنزاهة والصدق»، وسمح لهم بالتحدث معه بحرية تامة عما يدور فى هذه القيادة، ولكن القائد العام منعهم من الاتصال المباشر بالقائد الأعلى، ومن هؤلاء المستشارين محمد فوزى وعبد المنعم رياض.

كفى بحثا فى عقدة الصراع الأولى، والعقدة الثانية للصراع ليست مرتبطة مع عناصر وطنية محلية، بل مع عناصر سوفيتية حضرت لزيارة مصر، يقول اللواء نبيل فؤاد «فى مجلة **الوسط** العدد ١٩-١٩٩٢/٦/٨م، ص٢٨»... انتقل بعد ذلك إلى الاتحاد السوفيتى ودوره أيضا مازال من الأدوار التى تدور حولها الشكوك، لأن الموضوع بدأ من الاتحاد السوفيتى الذى أبلغ مصر بوجود حشود إسرائيلية على الحدود مع سوريا، وأوفدت

(١١) فوزى، نفس المصدر ص ٢٣.

مصر رئيس أركان الحرب الفريق محمد فوزى إلى سوريا، لكى يقيِّم الموقف ويرى الحشود، وقال الفريق فوزى إنه لا توجد حشود، ولكن القيادة السورية وموسكو أكدتا وجود الحشود، وعلى الرغم من ذلك فإن موضوع الاتحاد السوفيتى فيه شكوك؛ لكن دوره لم يصل إلى حد الخداع وتوريط مصر فى حرب هو أول من يعلم أنها غير مستعدة لها، وإنما يبدو أنه كان يهدف إلى حماية سوريا وزيادة الاعتماد المصرى على موسكو، لأنه دائم التشكيك فى قيادتها، خصوصا فى عبد الناصر لأنه لم يستطع تطويعه تماما ليفتح المجال للشيوعيين عنده، طبعا تذكرون أن السوفيات طلبوا تسهيلات فى مصر عام ١٩٦٦م، ورفضت القيادة المصرية تسهيلات بحرية وقاعدة جوية، وكان قائد البحرية السوفياتية فى زيارة لمصر، وبعد عودته إلى موسكو اتصل به الملحق العسكرى المصرى كإجراء طبيعى ليعرف منه انطباعاته عن زيارة مصر، فقال له: إنه وجد طبقة بورجوازية فى القوات المسلحة المصرية تحول دون انتشار الاشتراكية فى مصر(١٢).

وأود أن أوضح ما ورد فى حديث اللواء نبيل فؤاد؛ فالطبقة البورجوازية المقصود بها عبد الحكيم عامر وشمس بدران وهما العنصران اللذان يقفان حجر عثرة فى سبيل انتشار المد الشيوعى فى مصر؛ وهما اللذان رفضا إعطاء السوفيت تسهيلات بحرية وجوية، ومن ثم جاز للسوفيت أن يكيدوا لهما ولأتباعهما كيدا...فكيف يكون ذلك؟

وكيف يكون حال رئيس الجمهورية الذى ليس له فى الأمر حيلة كذلك؟

---

(١٢) نبيل فؤاد اللواء، **الوسط**، العدد ١٩ الصادر فى ١٩٩٢/٦/٨م، ص ٢٧و٢٨.

وربما يظن البعض أن هناك تطابقا بين رغبة الاتحاد السوفياتي في إزاحة القيادة العسكرية المصرية من موقعها ورغبة القائد الأعلى للقوات المسلحة، فكلاهما عجزا عن اختراق حاجز القيادة العسكرية في القوات المسلحة المصرية بوجود عبد الحكيم وأتباعه وشمس ومريديه، وكان أتباع عبد الحكيم هم قادة الفرق، بينما أتباع شمس كانوا قادة الأولوية.

ويذهب فريق من الباحثين إلى القول: بأن الاتحاد السوفيتي دبر الخطة وصدقها (أو قل صادق عليها أو حتى ابتلع طعمها) عبد الناصر سواء أكان ذلك سرا لا يعلمه أحد أو عن طيب خاطر، وطلبت سوريا النجدة من مصر بإيعاز من السوفيت، وطلب السوفيت من عبد الناصر ألا يكون بادئاً بالعدوان ذلك بعد أن ورطوا القائد العام للقوات المسلحة في حشد قواته وتجميع أتباعه وأتباع شمس بدران في سيناء، وبهذا يكون العنكبوت الأحمر والعنكبوت الأسمر قد نصبا شباكهما في سيناء، وخيوط العنكبوت لا تراها الفريسة، وعلى القائد العام وقياداته أن يتصرفوا في هذا المأزق المدبر بخبث ودهاء؛ فهم أول من يقع في شراك العنكبوت ويعتقد علماء الاستراتيجية والمحللون العسكريون الغربيون أن جمال عبد الناصر أصدر أوامر عشوائية غامضة غير واضحة وغير مدروسة إلى القائد العام المشير عبد الحكيم الذي لم يكن جاهزا لها، ولم تكن قياداته وقواته كذلك على دراية ومقدرة لتنفيذها، والمفروض في مثل هذه الحالات -وهو أمر لا يخفى على قائد محنك مثل الرئيس عبد الناصر- أن يجتمع مع مجلس رئاسة القوات المسلحة ويتدارسوا جميعا المهمة السياسية ويعرض كل منهم تقريره قبل أن

يتخذ القائد الأعلى قراره ويصبح ملزما لجميع الأطراف ومفهوما لدى الجميع، ويوضح المشير محمد الجمسى أبعاد ذلك فيقول:

في حرب حزيران (يونيو ١٩٦٧م) اتخذت قرارات سياسية بواسطة رئيس الدولة، لم تكن القوات المسلحة قادرة على تنفيذها، أى لم تكن هناك استراتيجية عليا للدولة تربط بين الهدف السياسى الذى أراد الرئيس عبد الناصر أن يحققه والهدف العسكرى الذى كان يأمل فى أن يحققه عبد الحكيم عامر بواسطة القوات المسلحة.... لم تكن لدى القوات المصرية قيادة عسكرية محترفة... كانت الأوامر تصدر من القيادة العليا إلى القيادة العامة للقوات المسلحة أو قادة الجيوش والمناطق وعلى الجميع التنفيذ دون الاشتراك فى اتخاذ مثل هذه القرارات، بينما الأسلوب العسكرى السليم يحتم أن يستمع القائد إلى المرؤوسين كمستشارين له، وعندما يتخذ القرار يصبح الجميع ملزمين بتنفيذه، وهذا لم يحدث مطلقا فى ظل وجود عبد الحكيم عامر بدليل أن عبد الناصر عندما سأله قبيل إغلاق مضايق تيران يوم ٢٣ أيار (مايو) عام ١٩٦٧م: عما إذا كانت القوات المسلحة جاهزة؟ أجابه: «برقبتى ياريس»، وهذا كلام ما كان يجب أن يصدر عن القائد السياسى أو القائد العسكرى لأن القائد السياسى عندما يريد إقرار شىء ما يجب أن يتأكد من أنه قادر على تنفيذه سياسيا وعسكريا واقتصاديا، أما أن يأخذ قرارا ويسأل فى اليوم نفسه عما إذا كانت قواته جاهزة فإن هذا دليل على أن مثل هذه النوعية من القرارات كانت تؤخذ على غير أساس،

ومن جانبه يؤكد القائد العسكرى فى جملة بسيطة سريعة أن القوات جاهزة، ويتساءل الجمسى باستنكار: «ومن قال إن القوات المصرية كانت جاهزة فى عام ١٩٦٧م؟ كان جزء كبير من قواتنا فى اليمن، ولم يكن الموجود من هذه القوات فى مصر قادرا على النهوض بتنفيذ الخطة الدفاعية فى سيناء، الأمر الذى حتم على القيادة العامة استدعاء الاحتياطى الذى كان غير مدرب بدليل أن جزءا منه -كما قال الفريق أول محمد فوزى- ذهب إلى الحرب بالجلابيب[١٣]».

ويرجع السبب فى ذلك كله إلى الصراع الذى كان دائر بين القيادة السياسية والقيادة العسكرية بسبب الأمن... كل منهما -عبد الناصر وعبد الحكيم- يريد أن يؤمن نفسه من غدرات الآخر، منذ انفصال سوريا عن مصر، وقد حان الوقت الآن لأن تتحدى القيادة العسكرية وتعرض ما لديها من كفاءة قتالية وعلم عسكرى، ويؤكد ذلك الشقاق الفريق أول محمد فوزى، حيث يقول: «وفوق هذه العوامل جميعها التى تشكل جوانب صورة ما حدث، فإن غياب التفاهم والتنسيق بين القيادة السياسية والقيادة العسكرية كان عاملا أساسيا، فإذا كان الاتجاه السياسى للقيادة هو مواجهة أية تهديدات إسرائيلية موجهة إلى دمشق، فإن واجب القيادة العسكرية أن تزيد من قدراتها إلى الحد الذى يمكنها من مساندته فى هدفه السياسى.

ومن المثير للدهشة أن يقوم المشير عبد الحكيم عامر بعدما تلقى الأمر من

(١٣) الجمسى، نفس المصدر، ص ٣١.

القيادة السياسية فى يوم ١٤ آيار (مايو) عام ١٩٦٧م، بتجهيز قواته فى سيناء فى أوضاع هجومية محددا تكليفات لألوية وفرق مصرية للقيام بغارات هجومية على إسرائيل.

واقتضى هذا الأمر أن يدفع المشير الجيش إلى الأمام على قدر الإمكان ليسند الوحدات التى ستنطلق من هذا الجيش للقيام بالغارات المطلوبة، وهذا الأمر تمت مناقشته مع القيادة السياسية فى وقت متأخر أيام ٢٥ و٢٦ و٢٧ آيار (مايو)، حيث سأل عبد الناصر قائد القوات المشير عبد الحكيم عامر: «لماذا تقومون بتحركات هجومية؟ ألا تعرف أن سياسة مصر دفاعية؟»، وهنا تراجع المشير بسرعة طالبا إلغاء أوامره السابقة للقوات، وترتب على هذا قيام الجيش المصرى (٣٠٠ ألف مقاتل وقتها) بأربعة تحركات ميدانية خلال ٢٠ يوما ما بين المحور الشمالى والمحور الجنوبى والأمام والخلف، بما دفع قائد القوات البرية (القائد العام للميدان) الفريق أول عبد المحسن كامل مرتجى إلى أن يتقدم بسؤال رسمى إلى القيادة العامة للقوات المسلحة فى يوم ٣٠ حزيران (يونيو) يقول: «ما هو الغرض المحدد للقوات بالضبط؟» وتوجه اللواء أحمد إسماعيل (قائد القوات المصرية فيما بعد، أى فى عام ١٩٧٣م ورئيس أركان مرتجى حينئذ) من بير ثمادة فى الخطوط الأمامية إلى هيئة العمليات حاملا سؤال مرتجى الحائر، والغريب أن القوات المسلحة أعدت فى عامى ١٩٦٤-١٩٦٥م (بعدما تحددت السياسة العسكرية) الخطة على أنها دفاعية... خطة عسكرية ضخمة ومتقنة اسمها «قاهر»، ثم أدخلت بعض التعديلات عليها، وبعدها تم بصمها وإيداعها خزانة الدولة،

وبالتالى كان من المعقول والطبيعى فى يوم ١٤ آيار (مايو) بعد صدور الأمر السياسى بالتعبئة والحشد أن تخرج هذه الخطة إلى النور وتنفذ، ولكن عبد الحكيم عامر لم ينظر إلى هذه الخطة ولو بطرف عينه، وإنما دفع الوحدات وفق التخطيط الذى كان هو يراه هجوميا(١٤).

ومن الغريب أن أحمد إسماعيل عاد إلى مقر قيادته فى بير تمادة دون أن يتلقى ردا مقنعا: هجوميا أم دفاعيا؟ ومن الواضح أن سؤال عبد الناصر الاستنكارى كان يحمل -فى طياته- لهجة ساخرة، فقد وضع نفسه فى موضع المتفرج الساخر على تصرفات هذه القيادة، وكأنه يذكر عبد الحكيم وأتباعه بعاقبه إبعاده عن القوات المسلحة مع إحكام قبضتهم عليها، ولكى يحكم عبد الناصر فرض القيود على القوات المسلحة وقياداتها «الموقرة» أمعن بالتأكيد فى عدم البدء بالضربة الجوية حتى بعد علمه بأن تلقى الضربة الأولى من الطيران الإسرائيلى سيفقد القوات الجوية ٨٥٪ من قدراتها، وأن الطيارين ويؤيدهم فى ذلك عبد الحكيم عامر على استعداد لتوجيه الضربة الأولى(١٥).

وفى مواجهة هذا الحشد المصرى والسورى عبأت إسرائيل قواتها واتخذت

---

(١٤) فوزى، نفس المصدر، ص ٢٣.

(١٥) زار عبد الناصر وعبد الحكيم وصدقى محمود قاعدة أبو صوير الجوية فى يوم ٢٥ أيار (مايو) لمشاهدة عرض عن قدرات الطائرة ميج ٢١ وكفاءة الطيارين على الإقلاع والمناورة، وفى هذا العرض طلب الطيارون توجيه الضربة الأولى إلى إسرائيل، حيث إن امتصاص الضربة الأولى التى توجهها إسرائيل يكلف القوات الجوية خسائر تقدر بحوالى ٨٥٪ من قواتها خاصة أن الطائرات موقفة فى العراء وممونة بالذخيرة والوقود، وأن انفجار إحداها، سوف يفجر الباقيات، وكان عبد الحكيم يؤيد الطيارين فى ذلك، ولكن عبد الناصر رفض توجيه الضربة الجوية الأولى إلى إسرائيل.

وحداتها وتشكيلاتها أوضاعها الهجومية مع مراعاة الإخفاء والتمويه الجيد، وتشكلت وزارة عرفت بأنها وزارة حرب وأصدرت القيادة السياسية أوامرها الواضحة المدروسة إلى القيادة العسكرية ودارت الاتصالات الخارجية وخاصة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى اللذان طلبا من مصر ضبط النفس وعدم البدء بالضربة الأولى، وكانت القيادة الإسرائيلية تعلم بنوايا القيادة المصرية والسورية وتعلم بالتحركات والأوضاع -التى اتخذتها القوات- ففى حديث لصحيفة **لوموند Le Monde** الفرنسية صرح إسحق رابين رئيس أركان جيش الدفاع الإسرائيلى بأنه «لا يدعى أن عبد الناصر كان يريد الحرب لأن القوات التى أرسلها إلى سيناء لم تكن كافية لشن هجوم على إسرائيل، بل كان يناور ويخادع»، ويقول اللواء نبيل فؤاد: «عندما اجتمعت حكومة الحرب بناء على الزيارة السرية التى قام بها مدير المخابرات الإسرائيلية يوم ٣٠ أيار (مايو) لواشنطن للتنسيق النهائى بعث ببرقية يقول فيها: «إن العمل العسكرى يجب أن يكون سريعا حتى لا يثير تدخلا دوليا، واجتمعت حكومة الحرب بناء على ذلك فى يوم ٤ حزيران (يونية) ١٩٦٧م واتخذت قرار الحرب، وهذا كله يؤكد أن عبد الناصر أدار الأزمة بأسلوب معين أعطى الفرصة لإسرائيل ولأمريكا لاصطياده هو وجيشه[١٦]».

وكان أسلوب عبد الناصر هذا يتيح الفرصة لإسرائيل لكى تصطاد القيادة العامة للقوات المسلحة وقيادات التشكيلات الميدانية والوحدات التى عينها عبد الحكيم عامر رغم أنف عبد الناصر، وقد بلغ مدى إتباع هذا الأسلوب

(١٦) فؤاد، الوسط ١٧ -١٩٩٢/٥/٢٥م، ص ١٦.

الخاص (الذى بلاشك يصادف هوى فى نفس الاتحاد السوفيتى) إلى أن يحدد عبد الناصر بنفسه احتمالات قيام إسرائيل بالهجوم، وبالرغم من هذا منع قواته الجوية من توجيه الضربة الأولى لإجهاض الحشود الإسرائيلية، وهو الأمر الذى وضع الكثير من علامات الاستفهام والتعجب.

ويضيف اللواء نبيل فؤاد فى مجلة **الوسط** ١٩-٨/٦/١٩٩٢م، ص٢٩:

«كان عبد الناصر يعقد اجتماعات مع القيادة العليا للقوات المسلحة، وفى كل اجتماع يحدد احتمالات الحرب، واجتمع بهم فى يوم ٢ حزيران (يونية) ١٩٦٧م، وقال: «إن نسبة إندلاع الحرب مائة فى المائة وخلال ٢٤ ساعة»، فرد صدقى محمود قائد القوات الجوية مقترحا توجيه ضربة جوية ضد إسرائيل، وهذا فكر سليم تماما وهو ما يسمى فى علومنا العسكرية بالضربة الاستباقية أو ضربة الإجهاض، ولكن لم يوافق عليها عبد الناصر الذى يعزو ذلك إلى الظرف الدولية غير المواتية»، ويجب إيضاح أن الضربة المسبقة تحتاج إلى معلومات أكيدة عن أن الخصم سيقوم بعدوان عليك، ويكون عنده من القدرة أن يقنع المجتمع الدولى بمبررات الضربة الأولى، وهو مالم يكن متاحا لمصر... لماذا؟ لأن وضعها لم يكن على المستوى الدولى مريحا، ومن هنا لم يستطع عبد الناصر اتخاذ قرار توجيه الضربة الجوية ضد إسرائيل».

وتجلت قمة الصراع الدرامى فى قيام إسرائيل بتوجيه الضربة الأولى التى أفقدت القيادة المصرية والقوات الجوية **صوابها**، ثم توغلت فى عمق الخطوط الدفاعية الهشة بمدرعاتها، وفى أثناء هذه المأساة كان عبد الحكيم عامر

يتصل بالوحدات مباشرة لإصدار أوامر الإنسحاب دون تمرير الأوامر على قائد الجبهة الذى فقد السيطرة على قواته.

وفى غمرة المأساة الدرامية عادة ما يحدث أمور يصل بها الخط المأساوى إلى حد الهزل، ومن هذه المهازل نسوق ما يلى:

توجه قائد وحدة الشرطة العسكرية المسئول عن تنظيم انتقال مركز القيادة المتقدم للتأكد من إخلائه وانتقاله إلى مركز القيادة الرئيسى فى منطقة الإسماعيلية، فوجد فيه الفريق أول عبد المحسن كامل مرتجى قائد الجبهة؛ وكان لا يعلم بصدور أوامر الإنسحاب إلى قادة الوحدات والتشكيلات الميدانية فى الجبهة التى يقودها بالاتصال المباشر من نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة دون تمرير هذه الأوامر عليه، فتعجب القائد وقال له: «سيادتك قاعد ليه؟! الوحدات انسحبت!!».

أى مهزلة هذه التى يعجز الكاتب المسرحى القدير عن حبك خيوطها، وفى المسرح يعمد المؤلف إلى إدخال عنصر فكاهى لتخفيف وطأة المأساة على المتفرج، ولعل هذا المشهد من المشاهد الهزلية التى يتخذ منها أدباء المسرح ما يسمونه Comic relief.

ففى مسرحية **الملك لير** (١٦٠٥-١٦٠٦) التى كتبها الشاعر البريطانى وليم شكيسبير يلتقى المهرج بالملك لير فى العراء بعد أن وزع الملك ثروته على بناته قبل وفاته، فتنكرن له وطردنه من ملكه جن جنونه، فدار الحوار التالى بين المهرج والملك، ولعل فيه من العبرة والموعظة ما يذكرنا بموضوع هذه المأساة التى نحن بصددها:

ويدور الحوار بين الملك لير والمهرج على النحو الآتى:

Fool - If thou wert my Fool, Nuncle, I'd have thee beaten for being old before thy time.

Lear - How's that?

Fool - Thou should'st not have been old till thou hadst been wise.

Lear - O! Let me not be mad, not mad, sweet heaven:

Keep mein temper; I would not be mad!

(Lear: I. V. 38-44)(17)

ويأخذ الملك الحكمة من أفواه المجانين، فيرتد إليه صوابه، يقول المهرج للملك: «يأيها العم، إذا اتخذتك مهرجا لى فسوف أضربك لأنك كبرت قبل الأوان... ولا يجب عليك أن تكبر إلا إذا كنت عاقلا!».

لقد كبر عبد الحكيم عامر قبل الأوان ويستحق عقاب المهرج، قفز إلى مقاعد القيادة العليا للقوات المسلحة دون أن تتوافر لديه الخبرة القيادية التى تؤهله لها، فلم يتدرج فى سلم القيادة الميدانية التى تصقله وتؤهله لإدارة المعركة؛ فكبر قبل الأوان، كان مديرا لمكتب أحد القادة العسكريين برتبة الرائد عندما شارك فى الثورة وصار نائبا للقائد الأعلى للقوات المسلحة ولم تتوافر لديه الخبرة لقيادة سرية مشاه، ولكن الترقية السياسية

(١٧) Kenneth Muir, ed., King Lear: The Arden Edition of the works of. William Shkespeare, (London: Methuen&Co. Ltd., 1980), P. 55.

ليست دليلا على الكفاءة القتالية التى تتطلبها القيادة الميدانية، فلم ينضج القادة العظماء إلا بتدرجهم فى القيادة الفعلية التى تكسبهم الخبرة وتصقل مواهبهم، من أمثلة هؤلاء تحتمس الثالث والإسكندر المقدونى وهانيبال القرطاجى ونابليون بونابرت وليو مونتجومرى وغيرهم.

ولقد التقى عبد الحكيم عامر فى نفس الشهر أيار (مايو) ١٩٦٧م قبل المعركة بأيام معدودة بالمشير (الفيلد مارشال) مونتجومرى فى بيت عبد الناصر، يقول اللواء الركن حسن أحمد البدرى فى هذا اللقاء: «ولما أزفت ساعة الرحيل توجه مونتى إلى منزل الرئيس عبد الناصر بمنشية البكرى ليشكره على حفاوته وحسن ضيافته، وقابل هناك المشير عبد الحكيم عامر الذى كان يرتدى ملابسه المدنية فقدمه عبد الناصر لمونتى قائلا: «الفيلد مارشال عامر» وعلى نحو ما اعتاد الماريشالات عندما يلتقون ببعض لأول مرة فقد سأل مونتى عامر عن المعركة التى كسب بها هذه الرتبة الرفيعة، فظل عامر يتلعثم حتى أنقذ عبد الناصر الموقف بتحويل الحديث وجهة أخرى... وفى طريقنا للمطار سألنى مونتى: لماذا ارتج القول على عامر بهذه الصورة؟ فأفهمته أن ترقيته لم تكن لنصر أحرزه فى الميدان، ولكنها كانت ترقية سياسية..! فظهر الامتعاض على وجهه وراح يردد: ترقية سياسية! ترقية سياسية! وهل أتت أى ترقية سياسية بخير[١٨]!».

أما عبد العناصر فقد كان موقفه حرجا للغاية، فكان يتشكك فى كل من

(١٨) حسن أحمد البدرى (اللواء الركن)، «استراتيجيا وتكتيكا: اليوبيل الذهبى لمعركة العلمين: سمات بارزة مشتركة بين معركتى العلمين والعبور»، الدفاع العربى، العدد الأولى -السنة السابعة عشر- تشرين/أكتوبر ١٩٩٢م.

حوله بعد أن فرض عليه الحظر فى التدخل فى القوات المسلحة، وقد كره الناس فى مصر قيادتهم بعد أن تحولت مصر إلى دولة شرطية: فالبريد الشخصى عرضه للفتح والرقابة الشخصية مفروضة على الاتصالات الهاتفية والصحف الكبرى أممت والحريات أكبتت والبيوت اقتحمت وفتشت وأجهزة الإنذار والتصنت زرعت سرا فى غرف النوم وانشغل مؤيدوه بالمناصب الكبرى فى دولة الحزب الحاكم الواحد والأحرار والأشراف أودعوا المعتقلات والسجون فى الصحراء، هذا من ناحية الوضع الداخلى، وهذا الوضع مخالف تماما لما أوصى به ماكياڤيللى الذى يقول:

«وبإيجاز يجب ألا يخشى الأمير التآمر إذا كانت رعيته ملتفة حوله، ولكن عندما تكون الرعية فى موقف عدائى كاره فلديه العذر فى أن يشك فى كل من حوله وفى أى شىء حوله، والدولة المتوازنة والأمراء العقلاء يحيطون طبقة النبلاء (الإقطاعيين) بكل رعاية ويفهموها بأنها لن تدفع إلى حافة الهاوية واليأس والتشريد، كما أن عامة الناس يجب أن يكونوا آمنين مطمئنين، وتلك من الأمور الجوهرية التى يجب أن يراعيها الأمير الحقيقى، ويجب عليه أن يفعل ما فى وسعه لكى يتجنب كراهية المواطنين[١٩]».

وفى نطاق التعامل الخارجى لم يكن له من نصير وظهير إلا الاتحاد السوفيتى الذى اضطره إلى التضحية بالتنازل عن كثير من استقلاله السياسى، وهو الزعيم المعروف بتفرده بالحكم دون منازع، وسأورد ما قاله

(١٩) Machiavelli, Op. Cit., PP. 56061.

الصحافى روبرت سان جون باللغة الإنجليزية:

Although complex and revolutionary in his public life, privalely Nasser was conservative and simple..... yet he failed in his ambition to create a unified Arab world, and before his death he was foreced to sacrifice some of Egypt's political independence for the military support of the Soviet Union(20).

ونترجم هذه الفقرة كالآتى:

وبالرغم من أن عبد الناصر كان معقدا وثوريا فى حياته العامة، كان فى حياته الخاصة بسيطا ومحافظا، ولكنه فشل فى تحقيق طموحاته بتوحيد العالم العربى، وقبل موته كان مضطرا إلى أن يضحى بشىء من استقلال مصر السياسى فى مقابل الدعم العسكرى من الاتحاد السوفيتى.

تلك هى دراسات الغرب، وذلك هو تحليل مؤرخيه العسكريين الذين كانوا يناهضون القيادة السياسية والعسكرية المصرية، بينما يقرظون القيادة السياسية والعسكرية الإسرائيلية ويتعاطفون معها، وفى تبرير لهذه الإفتراءات قالت الصحف الغربية:

يظهر أن تضحية عبد الناصر بالاستقلال السياسى للبلاد وببعض اختصاصاته وسلطاته جاءت فى مقابل الدعم العسكرى من الاتحاد السوفيتى، فالرضوخ لرؤية الاتحاد السوفيتى بوجود حشود عسكرية نوع من

(٢٠) Jon, Op. Cit., P. 525.

التضحية بتلك السلطات، والالتزام فى أحلك الظروف بعدم توجيه الضربة الوقائية نوع من الاستسلام لإرادة الاتحاد السوفيتى، وهى الأسئلة التى طرحت نفسها للاستفهام والتعجب، بل والتهكم فى بعض الأحيان.

والمواطن العربى الذى لا يجد بديلا عن هذه التحليلات الغربية المغرضة يقع فى براثنها، حيث تركته وسائل الإعلام العربية والمصرية والمؤرخون العسكريون العرب فريسة لها دون أن تدركه بنشر الحقائق المجردة، وبتنفيذ الإفتراءات والأكاذيب التى تطمس معالم الحقيقة، وتطلق الشائعات المغرضة التى تدور فى الأذهان فتشكك القارىء فى القيادة وتتناقلها الألسنة التى تسلق القادة دونما ضابط أو رابط.

والمواطن العربى المنصف الواعى يقرن موقف عبد الناصر من هذه الحرب بموقفه من الحزب الشيوعى الذى أريد به أن يتشكل سرا فى مصر، وكذلك يرد عبد الناصر على الرئيس السوفيتى نيكيتا خروشتشوف بهذا الشأن

ذلك الرد الصريح الواضح الذى يأبى أن تنفذ الشيوعية إلى شعب مصر، وفى مقارنة هذه المواقف مقارنة منصفة للأضداد: موقف المحافظ على الاستقلال الرافض لنفوذ الحزب الشيوعى السوفيتى، كما يقره الواقع، وموقف القائد الذى يضحى بالاستقلال السياسى لبلده من أجل الدعم العسكرى السوفيتى، كما تدعى صحف الغرب المغرضة.

ومن العبث أن يبالغ بعض المتطرفين فى دراساتهم الاستراتيجية فيصفوا القيادة السياسية المصرية بالإذعان لإرادة السوفيت، مسترشدين فى ذلك بترك عبد الناصر قيادته العسكرية (عبد الحكيم عامر) تدير المعركة التى

بدأت خاسرة من الوهلة الأولى، دون أن يتلهف على إنقاذ ما يمكن إنقاذه سياسيا أو عسكريا، ويوسوس لهم شيطانهم أوهاما غريبة تصل إلى حد القذف بالخيانة والعياذ بالله، فيقولون: «إن هذه الهزيمة ربما حققت لعبد الناصر أملا طال انتظاره، وهو إزالة القيادة العسكرية التى حالت دون فرض سيطرته الكاملة على القوات المسلحة».

ويروج المغرضون شائعات تدور حول تضحية عبد الناصر بالاستقلال السياسى للبلاد وببعض اختصاصاته وسلطاته وصلاحياته فى مقابل الدعم العسكرى من الاتحاد السوفيتى، ويتعللون بأن الرضوخ لرؤية الاتحاد السوفيتى بوجود حشود عسكرية نوع من التضحية بتلك السلطات رغم تكذيب فوزى لوجود هذه الحشود بعد أن استطلع الحدود مع سوريا بالطائرة، ويقرنون الالتزام فى أحلك الظروف بعدم توجيه الضربة الوقائية حسبما يستدعى الموقف ويشير القادة المختصون بها برغبة السوفيت فى عدم القيام بها، وهم يعتبرون ذلك نوعا من الاستسلام لإرادة الاتحاد السوفيتى، والحقيقة أن هذه الأمور طرحت علامات للاستفهام والتعجب ولم تلق الإجابة الشافية الكافية حتى الآن، مما جعلها مثارا للتهكم فى بعض الأوساط المعادية والصديقة.

ومن القرائن الدالة على هذا التراخى أو التواطؤ أو الإذعان أن عبد الناصر ترك عبد الحكيم يدير المعركة عندما بدأت الحرب دون أن يتهلف على إنقاذ ما يمكن إنقاذه سياسيا أو عسكريا، فلم يتصل بالقيادة العسكرية إلا فى اليوم الثالث منذ بدء المعركة، يقول الفريق أول محمد فوزى: «فى ثالث

أيام الحرب اتصل شمس بدران -وزير الحربية- بعبد الناصر صائحا: «الحق عبد الحكيم عامر!» وجاء عبد الناصر إلى مقر القيادة ودخل إلى غرفة عامر فوجده منهارا وجلس معه بعض الوقت وخرج فى قمة الضيق والحزن، كان منظر عبد الحكيم عامر بعد أول أيام الحرب غريبا، عيناه حمراوتان يضع قدميه كعادته على كرسى، وكثيرا ما كان يصرخ فيمن حوله، فقدت القيادة العسكرية اتزانها نتيجة فقدان أملها الكبير فى الطيران المصرى، ثم انهارت هذه الآمال بعد الضربة الأولى» (**الوسط** ١٩-١٩٩٢/٦/٨-ص ٢٤).

يقول السفهاء: هناك تناغما ظاهرا بين ابتعاد عبد الناصر عن القيادة العسكرية فى أول أيام الحرب وبين ابتعاد الاتحاد السوفيتى لمدة مشابهة تقريبا عن تلك الأحداث، ويقول اللواء نبيل فهمى: «إن مصر تصورت أن الاتحاد السوفيتى يمكن أن يدعمها إلى مدى معين، لكن عندما نشبت الحرب ظل الاتحاد السوفيتى لمدة يومين صامتا، إذن كان هناك سوء تقدير لما يمكن أن يصل إليه الاتحاد السوفيتى فى دعمه».

ويعزى المحللون الغربيون أسباب الهزيمة إلى ثلاثة أسباب رئيسية يحتاج كل منها إلى مجلد لشرح تفاصيله وتبريره، أولها أن يكون الاتحاد السوفيتى خدع من قبل الإدارة الأمريكية، وثانيها أن يكون الاتحاد السوفيتى خدع عبد الناصر، إذ وعده بالدعم فى أثناء الحرب وأخلف وعده، والاحتمال الأخير أن يكون هناك اتفاق بين الطرفين: الاتحاد السوفيتى وعبد الناصر على إزالة عبد الحكيم وزمرته.

وهم بهذا يقرنون ما قاله فوزى بما قاله فهمى، ويربطون الأيام الثلاثة

التى تخلف فيها عبد الناصر عن عبد الحكيم باليومين اللذين ظل فيهما السوفيت بعيدين عن المعركة.

ومن الثابت المؤكد أن عبد الناصر فى هذه الأيام الثلاثة كان يمارس اختصاصات القيادة السياسية تاركا للقيادة العسكرية إدارة المعركة، ففى عصر اليوم الأول تدارس مع مبعوثى القيادة العراقية إمكانات الدعم العسكرى من العراق لمصر، كما كان على اتصال بالقيادات السياسية العربية والإسلامية والصديقة الأخرى، كما يقول شاهد عيان هو اللواء الركن السيد عبد الغنى الراوى -نائب رئيس الوزراء العراقى فى عهد الرئيس عبد الرحمن عارف.

ونفند هذه الاحتمالات الثلاثة التى يعرضها المؤرخون العسكريون فى الغرب كالآتى:

أولا: أن يكون الاتحاد السوفيتى قد خدع من قبل الإدارة الأمريكية التى طالبت القيادة السوفيتية والقيادة المصرية بضبط النفس وعدم توجيه الضربة الأولى، وهو فى عرف الناقد العسكرى مقبول تماما نظرا لما كان قائما من علاقات وثيقة بين الإدارة الأمريكية والقيادة الإسرائيلية من جانب، ولما كان فيها من حقد على تصرفات عبد الناصر وتصريحاته المكشوفة تجاه كل من أمريكا وإسرائيل من جانب آخر.

وفى إخلال الولايات المتحدة بوعدها للاتحاد السوفيتى بضمان عدم قيام إسرائيل بالضربة الأولى، إخلال بهيبة السوفيت فى نظر القيادة المصرية، وهم الذين طلبوا من مصر عدم البدء بالعدوان.

ثانيا: أن يكون الاتحاد السوفيتى خدع عبد الناصر بقصد إزالة طبقة القيادة العسكرية «البورجوازية» التى تحول دون نفوذ الاشتراكية فى مصر، وفى إزالتها من مراكزها القيادية بعد أن تفقد الأسلحة والقوات والأرض ربط لمصر بعجلة السوفيت الذين يقومون بتأمين رفع الأسلحة بدلا من المفقودة فى المعركة وإعادة تنظيم القوات وتدريبها على الأساليب السوفيتية على يد خبراء سوفيت.

رأينا أن السوفيت وعدوا عبد الناصر بالدعم أثناء الحرب، ولكنهم أخلفوا ما وعدوا به، والمعروف أن السوفيت قاموا بجهود موفقة فى إعادة بناء القوات المسلحة فى مرحلة حرب الاستنزاف فى ظل قيادة عسكرية جديدة، اتصفت بالولاء للقيادة السياسية كما اتصفت باليقظة والحزم على نحو ما نفصله تفصيلا فى دراسة النموذج التالى من نماذج القيادة.

وموقف السوفيت الباحثين عن صالحهم الشخصى على حساب مصالح مصر والعرب ليس بمستغرب فى السر أو فى العلن، ففى عهد الرئيس أنور السادات تقاعس السوفيت عن إمداد مصر بالأسلحة والذخيرة وقطع الغيار، وطالبوا بالمزيد من التدخل فى شئون مصر السياسية والعسكرية بما ينتقص من سيادة القيادة السياسية والعسكرية على البلاد عامة وعلى القوات المسلحة بصفة خاصة، الأمر الذى اضطر السادات إلى طرد الخبراء والمستشارين السوفيت من البلاد، وخاض حرب أكتوبر ١٩٧٣م بمنأى عن السوفيت، وعندما وقع اتفاقية كامب ديفيد فى عام ١٩٧٧م حشد السوفيت الدول العربية -بطريق مباشر وغير مباشر- ضد مصر فيما عرف بالمقاطعة

العربية لمصر لفترة دامت عشر سنوات، كان السوفيت من وراء هذا المخطط المعادى لمصر، ولهذا فليس بمستبعد أن يكون السوفيت خدعوا عبد الناصر، ولم تبدأ مسيرة السلام فى عهد الرئيس محمد حسنى مبارك إلا بعد انهيار الاتحاد السوفيتى، حيث تحللت المقاطعة العربية لمصر وانحسرت خيوط السيطرة السوفيتية عن منطقة الشرق الأوسط، واستكملت الولايات المتحدة مسيرة السلام فى المنطقة بعيدا عن الهيمنة السوفيتية التى تحاول الإبقاء على هيبتها بمؤازرة الصرب ضد المسلمين فى البوسنة والهرسك.

وأخيرا نأتى إلى الاحتمال الثالث وهو احتمال افتراضى بحت، ولكننا نناقشه فى سياق البحث العلمى لنفنده ونقطع فيه بالحجة والبرهان، فهو يتضمن وجود اتفاق -سواء أكان عشوائيا أو مديرا- بين نوايا السوفيت ونوايا عبد الناصر تجاه القيادة العسكرية المصرية: عبد الحكيم عامر وشمس بدران ومؤيديهما.

ويتعلل مؤيدوا هذا الاحتمال بأنه -وإن كان بعيدا- يعتبر فى عرف البحث العلمى والتحليل المنهجى قائما ولو بنسبة محدودة بعيدا عن العاطفة والتحيز، ويقولون: «إن العلم العسكرى يعلمنا الموضوعية فى البحث والمنهجية فى التحليل، فالاتجاه الوحيد الذى تهمله الدراسة العشوائية وتستبعد دخول العدو منه قد لا يدخل العدو إلا منه فى آخر الأمر، وهذا ما حدث فى هذه الجولة التى تركز فيها المجهود الرئيسى للدفاع المصرى فى سيناء فى منطقة العشيمة الكونتلا-الحسنة، بينما تركز المجهود الرئيسى للهجوم الإسرائيلى على القطاع الشمالى حتى العريش، ثم انتقل

إلى الطريق الأوسط حتى الإسماعيلية.

وتحثنا مناهج التحليل العلمى على الدراسة العميقة المتأنية للقيادة السياسية والقيادة العسكرية من زوايا متنوعة: علوم النفس والاجتماع والإدارة والاستراتيجية حتى تقف على نقاط القوة ومظاهر الضعف فى شخصية القائد ويستكمل البحث تحليل الظروف المؤثرة عليه عند اتخاذه القرار.

وعلينا أن نحصى مزايا عبد الناصر ونعدد خطاياه، ونضع كلا منها فى كفة ونترك الميزان ليرجح إحداها، ومن الصعب أن يقوم فرد بهذه الدراسة؛ ولهذا يجب أن توكل هذه الدراسة إلى علماء متخصصين فى هذه الأفرع من فروع المعرفة ليدلوا بدلوهم فى هذا المضمار حتى يضيئوا الطريق أمام الأجيال القادمة، وإن لم تفعل ذلك فقد ترتكب خطأ كبيرا.

ومن الحقائق المؤكدة أنه فى أعقاب هذه الحرب تمت تنحية القيادة العسكرية المنهزمة وتعيين قيادة أخرى أقل ما يقال عنها إنها كانت أعلى كفاءة من سابقتها، إذ تم تجميع عبد الحكيم عامر وشركائه فى القيادات المتعددة الإنساق فى الإيقاف والمعتقلات وتجريدهم من شرف الاستمرار فى خدمة القوات المسلحة، وبهذا تعود سيطرة عبد الناصر كاملة على قواته المسلحة، ويتحقق حلم للاتحاد السوفيتى طالما تمناه، وهو إزالة هذه الطبقة البورجوازية فى القوات المسلحة المصرية التى تحول دون النفوذ السوفيت فيها.

وليس الصراع فى القيادة السياسية بالأمر المستحدث بين جمال وعبد

الحكيم، ولكنه صراع قديم قدم التاريخ، فصراع أعضاء مجلس القيادة الرومانية بين أوكتافيوس أوغسطس (٦٣ق.م-١٤م) وماركوس أنطونيوس انتهى بهزيمة الأخير الذى شغله حب كليوباترا عن مسئولياته فى معركة أكشيوم Actium (٣١ق.م.)، حيث هربت كليوباترا بأسطولها إلى مصر فتعقبها بعد أن تخلص من المعركة حتى وصل إلى الإسكندرية، وفيها قتل ودفن، وأنشد الشعراء فيهم القصائد ودبحوا المسرحيات المأساوية Antony and cleopatra مثل لوليم شيكسبير و All for love لجون دريدان ومصرع **كليوباترا** لأحمد شوقى وغيرها.

ويحدثنا التاريخ الإسلامى عن انقسام القيادة السياسية بين على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان -رضى الله عنهما- والأمثلة الأخرى فى مضمار انقسام القيادة كثيرة متنوعة تستحق الدراسة، حتى تضع القيادات الواعية الضوابط التى تحكمها وتحول دون حدوثها، ولعل آخر هذه الانقسامات المعاصرة ما حدث فى أفغانستان واليمن.

بقى أن يثبت عبد الناصر أقدامه على طريقه الثورى بعد زوال منافسيه، مثلما ثبت كل من أوغسطس ومعاوية أقدامهما بعد رحيل أنطونيوس وتنحية على.

يقول البعض: إن عبد الناصر داهية فى الخداع والسياسة، سلك سبيل عمرو بن العاص فى تثبيت معاوية بعد أن خلع أبو موسى الأشعرى عليا -رضى الله عنهم أجمعين- وهو دهاء يتمشى مع تعاليم ماكيافيللى.

لجأ عبد الناصر إلى التنحى عن القيادة السياسية بعد دراسة وتخطيط

وتدبير حتى يغرى عبد الحكيم وأتباعه بالتنحى عن مناصبهم القيادية، وأسند القيادة السياسية إلى زكريا محيى الدين لبضع ساعات، ولكن كيف يقوم شعب مقهور مثل شعب مصر باختيار قيادة بديلة؟!

يعلن كثير من الناس أن مظاهرات ٩و١٠ يونية ١٩٦٧م كانت تدبيرا من لدن حكيم خبير، ويعتقد البعض أنها خطة أحكم تدبيرها لاستعادة السيطرة على مقاليد الأمور لصالح عبد الناصر.

ورب قائل: «لم يكن تشكيل المحاكم العسكرية فى أعقاب هذه الحرب إلا عملا خداعيا يشتت الأنظار ويبعدها عن المسئول الحقيقى عن هذا الدمار».

تلك إرهاصات لا ترقى إلى التوكيد، ولكنها تقبل الجدل وتخضع للدراسة والتحليل، أردت أن أوضحها لأن البحث العلمى كالمعادلات يخضع للمحاولات ولا يسمح للعاطفة أن تتدخل، وبعد هذا وذاك على جهابزة التاريخ العسكرى المتخصصين أن يتناولوا ما صلح من هذه الآراء التى تدور فى أذهان الكثيرين من العرب والأجانب على السواء، حتى يظهر الحق ويزهق الباطل، وتضىء الشمس ويتبدد الضباب، وتتحدد المسئولية فى هذه الهزيمة النكراء، فليست عبر الماضى إلا نورا يضيىء الطريق للمستقبل؛ وليست الحقائق إلا شموسا تبدد ظلمة الدسائس الخبيثة، ورحم الله الفيلسوف الساخر حين قال:

إذا أخطأ الجندى فى الميدان استحق العقاب... وإذا أخطأ القائد فى

الميدان غفر الله له.

✡✡✡✡✡✡

ورضى الله عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذى تجسدت المسئولية فى مقولته: «لو تعثرت ناقة فى العراق لسئل عنها عمر».

✡✡✡✡✡✡

بانتهاء الحرب العربية الإسرائيلية فى يوم ٨ يونية عام ١٩٦٧م تكون إسرائيل قد نفضت يدها من التهديدات العربية، ويكون القائد الأعلى للقوات المسلحة المصرية قد **نفض يده** من تهديدات القيادة العسكرية بأنساقها المتعددة داخل القوات المسلحة، وتكون بذلك تلك القيادة العامة المنصرمة قد فقدت سلطاتها فى القوات المسلحة التى اتخذت منها شيئا أشبه بالجزيرة المنعزلة داخل الجمهورية العربية المتحدة وأخرجتها عن اختصاص القيادة العليا، ظن هؤلاء القادة أن ما فرضوه لأنفسهم من امتيازات داخل القوات المسلحة لا يمكن أن يسلبها منهم أحد، ففى أوقات الهدوء لم يشغلوا أنفسهم باحتمالات الحرب، ولم يتجهزوا لها ولم يعدوا القوات المسلحة لها، وهم بهذا يخالفون النظريات الأولية فى فن القيادة التى لخصها ماكيافيللى فيما يلى:

«دع قادتنا أولئك الذين اعتلوا المناصب القيادية لسنوات عديدة، ثم فقدوا سلطانهم لا يلومون القدر، بل يلوموا أنفسهم، فلم يفكروا قط فى أوقات الهدوء أن عجلة الزمن تدور وتتغير الأمور، وأن البحر عندما يكون هادئا لا يظنون أن العاصفة ربما تعقب هدوءه، وعندما تواجههم ظروف معادية لا يفكرون فى الدفاع، بل يعملون على الهروب أملا فى أن يرفض الناس صلف المنتصر فيحنون إلى ذكرى قادتهم السابقين[1]».

---

(١) Niccolo Machiavelli, **The Prince**, trans., N. H. Thomson, (New York: P. F. Collier& Son Corporation, 1965). P. 79.

ولهذا فقد انهارت القيادة ولم تستطع الصمود أو الدفاع، بل لجأت إلى الارتداد غير المنظم، فوقعت الواقعة، وقتل من قتل وغرق من غرق واحترق من احترق، وهو بلاء من ربكم عظيم يقول: رب العزة والجلال فى محكم آياته: «فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون، مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون» (الآيات: ٤٠-٤١ من سورة العنكبوت).

ففى هذه الحرب فقد الجندى المصرى كل شىء: فقد ثقته بالنفس وبالقيادة وبالسلاح، فقد ثقته بالنصر بعد أن كان طيفا يداعب خياله من فرط ما أذاعت الإذاعات وأشاعت الشائعات عن النصر المرتقب قبل المعركة، والآن بعد أن فقد كل شىء بقى أن يدافع عن نفسه وعن أرضه وعرضه تماما كما اشتهى ماكبث بطل المسرحية الشيكسبيرية أن يكون ملكا، ولكن بعد أن تخبط فى تصرفاته وفقد زوجته فقد ثقته فى كل من حوله، وأصبح لزاما عليه أن يدافع عن نفسه فقط، وهكذا رأى الجندى المصرى الحياة ظلا يتحرك به من الأمس إلى اليوم فى طريقه إلى الغد الذى يتجه به إلى العدم تماما كما انتهى بماكبث.

يقول ماكبث:

Life but a walking shadow, a poor player, that struts and frets his hour upon the stage, and then is heard no more: It is

a tale told by an idiot, full of sound and fury, Signifying nothing.

(**Macbeth**: V. V. 24-28)[2]

وتلك الأبيات نترجمها للقارىء كما يلى:

حياتنا ليست سوى ظلالا هائمة، أو ممثلا ضعيفا تراه ساعة يتيه فوق مسرح الحياة، ثم ينزعج، وثم لا تراه بعدها: ويالها من قصة رواها أبله مشحونة رؤاه بالضجيج والغضب وتنتهى به إلى العدم.

(ماكبث: فصل ٥ مشهد ٥ من ٢٤-٢٨)

والنصر الذى أحرزته إسرائيل فى الحرب له ألف أب، إذ تبناه حلفاؤها فى الغرب وراحوا يذيعونه ويكتبون عنه ويشيدون به؛ أما الهزيمة فهى اليتيمة، فلا أحد يعرف لها أبا أو سندا.

وبعد هذا الخراب تطلعت الأنظار إلى المنقذ من عواقب هذه النكسة، واتجهت الأبصار إلى هذا القائد أو ذاك فى مثل ما يحدث فى حالات المحن التى قال عنها عالم الاستراتيجية ماكياڤيللى:

ويتألق فى الأفق المظلم بعض الرجال الذين يظن الناس فيهم أنهم مبعوثون من قبل العناية الآلهية، ولكن ريثما يخذلهم القدر وتصير البلاد خاوية بدون قيادة صالحة، وتتلهف الأنظار بصبر نافد إلى من يضع نهاية للدمار والنهب والسلب ويضمد الجراح التى تركها الزمان تنزف بالألم،

---

(٢) Kenneth Muir, ed., **The Arden Shakespeare: Macbeth**, (London: Methuen&Co., Ltd.) 1986, P. 154.

وتتضرع البلاد إلى الله أن ينصلح حالها على يدى هذه القيادة فتنقذها من المظالم الوحشية وتكون على استعداد لتتبع خطاها وللسير خلفها موحدة الصفوف لتقود مسيرتها نحو الخلاص والانتقام بعد أن زكمت أنوفهم رائحة الهزيمة فتلتف قلوبهم حولها بكل شجاعة وأمل حتى ترتفع شأن البلاد (٣).

تشكيل القيادة الجديدة

زال الصراع عن عنصرى القيادة المصرية القيادة السياسية والقيادة العسكرية، وحل محله الوفاق بين القائد الأعلى للقوات المسلحة الرئيس جمال عبد الناصر وبين القائد العام الفريق أول محمد فوزى -وزير الحربية- والفريق عبد المنعم رياض -رئيس هيئة الأركان العامة- واللواء محمد سعد الدين مأمون -رئيس هيئة العمليات- وأصبحت القرارات السياسية لا تصدر إلى القيادة العامة للقوات المسلحة إلا بعد دراستها والوقوف على تقارير الموقف وإمكانات التنفيذ، وكانت بالتالى تقارير الموقف والكفاءة القتالية ترفع إلى القيادة العليا بصدق وأمانة وبصراحة ووضوح.

والمعروف عن الفريق أول محمد فوزى القائد العام أنه حازم صادق مثابر، ولد فى يوم ٥ آزار (مارس) سنة ١٩١٥م فى القاهرة، وتخرج فى الكلية الحربية، ثم فى كلية أركان الحرب، ثم فى كلية الحرب العليا، وتولى قيادة العديد من وحدات المدفعية المضادة للطائرات ثم عمل كبيرا لمعلمى الكلية الحربية، فمديرا لها قبل أن يعين رئيسا لهيئة أركان حرب القوات المسلحة تحت قيادة المشير عبد الحكيم عامر.

---

(٣) Machiavelli, Op. Cit., PP. 83,84.

كان اختيار محمد فوزى للتصدى لإعادة بناء القوات المسلحة فى هذه الفترة اختيارا سليما يتوافق مع ما عرف عنه من صفات وما يصوغ ماكيافيللى من نظريات، فهو يكره المتملقين والمنتفعين والمتسكعين من الضباط، فالمتملقون الذين سيطروا على أمور البلاد عامة والقوات المسلحة بصفة خاصة، هم المنتفعون الذين كانوا يلهون فى البلاد ويعبثون بمصير القوات المسلحة، وهؤلاء إنما كانوا يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون، وهؤلاء قد استبعدهم فوزى من صفوف القوات المسلحة وأحالهم إلى التقاعد، واستبدل بهم خيرا منهم، فتولت قيادات القطاعات والفرق والألوية والوحدات قيادات واعية يقظة حازمة، تتعاون فيما بينها وتدرك أبعاد الموقف العسكرى وتطمح إلى تحرير الأرض التى أسلمتها القيادة السابقة للعدو فى سيناء.

وكان الفريق عبد المنعم رياض (٢٢/١٠/١٩١٩-٩/٣/١٩٦٩م) خير عون كرئيس للأركان، التحق بالكلية الحربية فى عام ١٩٣٦م وتخرج منها فى عام ١٩٣٨م برتبة ملازم ثان فى سلاح المدفعية وعمل فى بطارية مدفعية مضادة للطائرات خلال الحرب العالمية الثانية، وبعد ست سنوات من تخرجه أى فى عام ١٩٤٤م دخل كلية القيادة والأركان وتخرج منها وهو برتبة النقيب وكان ترتيبه الأول، وحصل على دورة معلمى مدفعية مضادة للطائرات من ١٩٤٥-١٩٤٦م فى مانور بيير Manor Pier ولاركهيلLark Hill فى بريطانيا، ثم تولى قيادة مدرسة المدفعية المضادة للطائرات فى عام ١٩٥٢م ثم تعين قائدا للواء الأول المدفعية المضاد للطائرات فى ١٩٥٣م،

فـقـائدا للدفـاع المضـاد للطائرات فى عـام ١٩٥٤م ، وفى عـامى ١٩٥٨-١٩٥٩م أتم دورة تدريبية فى الأكاديمية العسكرية العليا فى فرونزة بالاتحاد السوفيتى، واشترك وهو برتبة اللواء فى دورة خاصة بالصواريخ المضادة للطائرات فى مدرسة المدفعية المضادة للطائرات فى ١٩٦٢-١٩٦٣م ثم أتم الدراسة فى كلية الحرب العليا فى عام ١٩٦٦م، وعين رئيسا لأركان القيادة العربية الموحدة، حيث ترقى إلى رتبة الفريق، ثم عين نائبا للقائد العام للقوات المسلحة فى عام ١٩٦٧م، وعندما قامت الحرب كان فى الجبهة الأردنية، ويقول الفريق عبد المنعم رياض بعدما أعيد إلى الجبهة المصرية رئيسا للأركان: «إذا وفرنا للمعركة القدرات المناسبة للقتال وأتحنا لها الفرصة الكافية للإعداد والتجهيز، وهيأنا لها الظروف المواتية، فليس ثمة شك فى النصر الذى وعدنا الله إياه[٤]»، وقد عرفت القوات المسلحة عبد المنعم رياض من خلال يقظته ودراسته ومثابرته ومتابعته.

وقع اختيار القائد الأعلى على الفريق أول فوزى ليتولى القيادة العامة للقوات المسلحة ووزارة الحربية فى يوم ١١ حزيران (يونيو) ١٩٦٧م، وكان القائد العام الجديد يرى أن بناء الإنسان على القيم والأخلاق أصعب من بناء الماديات، قال فوزى لعبد الناصر:

«إننى مؤمن بأن الجندى المصرى من أفضل المقاتلين، وأننا لم نتح له الفرصة للقتال، وأننى مؤمن بأن القيم والأخلاق والمثل هى الأشياء التى تسهل لنا النجاح فى مهمة إعادة البناء وأن الماديات من السهل إصلاحها

(٤) الهيثم الأيوبى، **الموسوعة العسكرية**، الجزء الثالث، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٥)، ص ٣١٣-٣١٤.

وبناؤها أكثر من بناء الإنسان[٥]»، ثم خصص القائد الأعلى المهمة السياسية للقيادة العسكرية الجديدة لتكون: «إعادة تنظيم وبناء وتدريب وتسليح القوات المسلحة، وجعلها قادرة على تحقيق الهدف السياسى وهو إزالة آثار العدوان... فى مدة محددة... هى ثلاث سنوات[٦]».

وقد تسلمت القيادة العامة المهمة السياسية الاستراتيجية وقسمتها إلى ثلاث مراحل: مرحلة المواجهة ومرحلة الصمود ومرحلة التحدى.

مرحلة المواجهة

كانت مهمة القيادة العامة للقوات المسلحة فى مرحلة المواجهة عسيرة، إذ كان عليها أن تعيد فى نفوس الجنود والقادة الأصاغر الثقة بالنفس والثقة بالقيادة والثقة بالسلاح ثم الثقة بالنصر.

تأكدت الثقة فى القيادة بإزالة القيادة الفاشلة وعناصرها المتغلغلة بعمق فى قطاعات القوات المسلحة، وإحلال قيادات من العناصر الطاهرة المؤمنة المناضلة الشريفة، وهو عمل يتفق تماما مع ما سبق أن أوضحناه مسبقا عن ماكيافيللى.

بقى أن يثق الجندى فى قدراته كمقاتل هزمته قيادته السابقة قبل أن يهزمه عدوه، رأى مثالا يحتذى فى جندى الصاعقة، ذلك الجندى ذى المعدن الأصيل والتدريب الشاق المتواصل، الذى يحتفظ بقيمته فى أشد الظروف وفى أحلك الأوقات، فلم تكد الحرب تصل إلى نهايتها حتى تصدت وحدات

---

(٥) عمرو عبد السميع، «محمد فوزى يتذكر حرب ١٩٦٧»، **الوسط**: العدد ١٩ الصادر فى ١٩٩٢/٦/٨م، ص ٢٦.

(٦) المصدر السابق، ص ٢٦.

فرعية مرتدة من الكتيبة ٤٣ من قوات الصاعقة وعبرت القناة سباحة ودمرت قوة مدرعة إسرائيلية على الضفة الشرقية لقناة السويس عند «رأس العش» تحاول الاقتراب من مدينة بورفؤاد المواجهة لبورسعيد، فأوقفتها ودمرتها ومنعتها من تحقيق هدفها، وكانت تلك بداية لاكتساب الجندى الثقة بالنفس.

وكانت مرحلة المواجهة تعنى تنشيط الدفاعات واكتساب اليقظة فى التعامل مع هذا العدو الغادر، تحققت اليقظة بوجود الجندى المصرى على اتصال بالجندى الإسرائيلى، فلا تفصلهما إلا قناة السويس أى مسافة ٢٠٠ مترا على أكثر تقدير، الأمر الذى أتاح له أن يرى عدوه ويحس به ويواجهه ويصطدم به ويقاتله ويقتله... وعندما بدأت الاشتباكات بالمدفعية ثم بالأسلحة الفردية تحقق بعد نفسى كبير وهو إزالة الخوف من نفس الجندى المصرى تجاه الجندى الإسرائيلى الذى كان حريصا على تعلم بعض الكلمات يرددها حال وقوعه فى الأسر... «لا تقتلنى... أنا عامل فى الكانتين».

وباليقظة والحزم استطاع المقاتل المصرى أن يحدد هدفه وهو قتل العدو واسترداد الأرض المغتصبة، وباليقظة والحزم ظلت القيادة العامة على اتصال دائم بالقوات من ناحية وبالقيادة العليا من ناحية أخرى، اتصلت القيادة بالقوات فاكسبت الجندى ثقة فى قيادته، واتصلت بالقيادة العليا فعرضت مطالب القوات من الأسلحة والمعدات التى تجعلها قادرة على التفوق على عدوها. يقول الفريق أول محمد فوزى:

«وكان على القيادة السياسية أن تلعب دورا هاما فى إعادة بناء القوات

المسلحة، إذ حمل القائد الأعلى للقوات المسلحة الاتحاد السوفيتى مسئولية الهزيمة كى يستجلب منه الأسلحة»، جاء عبد الناصر بعد ١٩٦٧م وأراد أن يُفهم السوفيت أنهم مشاركون فى الهزيمة كى يستطيع أن يفتح لمصر صنبور الأسلحة، وبالفعل جاءت هذه الأسلحة ومجانا، وأصبح الاتحاد السوفيتى ملتزما برفع القدرة الدفاعية للشعب المصرى، ثم تعاون الاتحاد السوفيتى بالخبراء على مستوى الجيش العامل واستجابة لطلبات مصر، بل وأعطى الروس مصر أولوية ورعاية عسكرية أفضل من أى دولة من دول حلف وارسو[(٧)]».

وباليقظة والحزم زادت قدرة المقاتل المصرى على استيعاب الأسلحة الحديثة، وبذلك زادت ثقته فى سلاحه، إذ زاد تجاوب السوفيت لطلباتنا بعدما شعروا بسرعة الفرد المصرى فى استيعاب السلاح الحديث، واستخدامه أمام الخبراء وفى وجودهم، ويضرب الفريق أول فوزى مثالا لذلك: «الأجهزة الإلكترونية فى قوات الدفاع الجوى والطيران... دفعتنى إلى تجنيد جميع خريجى كليات الهندسة وبالتكليف المباشر فى هذه الأسلحة ليستوعب فى البداية فترة تأهيل مدتها خمسة أيام فى الكلية الفنية العسكرية، ثم تصل المعدات وتدخل إلى الميدان مباشرة من الإسكندرية إلى الجبهة ليتدرب عليها بحضور المستشار السوفيتى فى خمسة أيام، ويتدرب بعد ذلك تدريبا عمليا عليها لمدة عشرة أيام، وقد أدى ذلك إلى أن قال بريجنيف للرئيس عبد الناصر: «إننى مندهش من قدرة الفرد المصرى المقاتل على استيعاب

---

(٧) نفس المصدر، ص ٢٥.

تكنولوجيا حديثة كهذه فى زمن لا يتجاوز عشرين يوما[٨] ».

وفى مرحلة المواجهة لم يتغير الجندى، ولكن الذى تغير هو نظام القيادة، وبالتالى تغير أسلوب التنظيم والتدريب والقدوة، وعندما يثق الجندى فى نفسه وفى قيادته وفى سلاحه يثق بالتالى فى النصر الذى يتطلع إليه، يقول مؤلف كتاب الأمير فى الفصل السادس والعشرين وهو الفصل الأخير:

« وعند الوقوف على الأخطاء التى ارتكبها كل نوع من أنواع القوات (المشاه - الفرسان - المدفعية......إلخ) يمكن تدريب القوات بأسلوب آخر يضمن المواجهة والصمود أمام الفرسان الآخرين دون خشية المشاه، ومن أجل تحقيق ذلك ليس من الضرورى تغيير القوات، ولكن ببساطة بتغيير الأسلوب المتبع سلفا، وهذه الأمور تؤدى إلى الإصلاح الذى بدوره يكسب القائد الثقة بالنفس والسمعة الطيبة» (ص٨٦).

وبالقوة وحدها تفشل المعركة، ولكن بالدهاء مع القوة كسبت القوات المسلحة الكثير من المعارك ذات الطابع الخاص، وفى تحليله لفشل ماكبث، يقول الناقد المسرحى فرانكو فيروشيو: إن ماكبث كأسد فشل فى أن يتحول إلى ثعلب، فكان الموت خلاصا له من عار الهزيمة، والناقد فى نظرى وسيط بين النص والقارىء، إذ يعين القارىء على تفسير ما خفى له من مضمون النص، وهو يفسره لنا على ضوء نظريات ماكيافيللى فيقول:

« يسترد العالم معناه للمنتصر، ولكن الهزيمة تُرِى المهزوم العالم كما هو،

---

(٨) عبد السميع، **الوسط** العدد ٢٠ الصادر فى ١٩٩٢/٦/١٥م، ص ٣٥.

والصراخ والألم لا يدلان إلا على الهزيمة، وهذا حقيقى فى الحياة الطبيعية، وكذلك فى الحياة الروائية والمسرحية على السواء، وهكذا يظهر كتاب **الأمير** كعمل فنى are poetica يساعد على توصيف العالم، حيث تداس العواطف الخالصة بالنعال مثلما تداس الضحايا الأبرياء، ويكون الطموح الزائد مجرد حماقة، وحيث يسود المكر والخديعة ترى جمهور المشاهدين مسحورا[٩]».

وقد امتزجت القوة بالحيلة والدهاء فى نفس المقاتل المصرى، وأصبح يفسد على الجانب الإسرائيلى خططه وخداعه، فابتكر وتطور لينتقل من مرحلة المواجهة إلى مرحلة أخرى أكثر رقيا وتطورا من الناحية المعنوية والفكرية والتدريبية والسلوكية، وأخذ بزمام المبادرة فى كثير من أدائه العسكرى المتميز.

ففى يومى ١٤و١٥ يوليو ١٩٦٧م بينما كانت القوات الجوية الإسرائيلية تنتشى بزهوة النصر، أفسدت عليها المقاتلات القاذفة المصرية نشوتها، إذ قامت بضربة جوية مركزة على المطارات الإسرائيلية والاحتياطيات المدرعة فى الأرض المحتلة (سيناء) وأحدثت فيها خسائر كبيرة، وقد رفعت هذه الضربة الجوية من ثقة الطيارين المصريين فى أنفسهم وفى قيادتهم الجديدة وفى طائراتهم، وبالتالى بدأ التلاحم المفروض يظهر بين القوات الجوية المصرية وباقى أفرع وتشكيلات القوات المسلحة.

وفى نفس اليوم حاولت قوة إسرائيلية عبور قناة السويس بالزوارق

---

(٩) Eranco Ferroccio, The Poetics of Sisquise: **The Autobiography of the Work in Homer, Dante, and Shakespeare**, trans., Ann Dunnigan, (Ithaca: Cornell University Press, 1980), P. 158.

المطاطية، فأطلقت القوات المصرية عليها النار وأفسدت مخططها وأسرت اثنين من بحارتها.

وعندما بلغ التبجح بالقوات البحرية الإسرائيلية مداه فى يوم ٢١ أكتوبر ١٩٦٧م ودخلت المدمرة الإسرائيلية «إيلات» فى المياه الإقليمية المصرية أمام بورسعيد تصدت لها زوارق الصواريخ المصرية فأغرقتها؛ وكان ذلك ابتكارا جديدا ومبادرة باستخدام تكتيكى جديد فى القوات البحرية تبنته دول العالم البحرية وهو استخدام يدين به فن الحرب للبحرية المصرية.

ومن ثم تسلسلت الأحداث: وردا على إغراق السفينة «إيلات» قامت المدفعية الإسرائيلية بقصف مدينة السويس ومصانع تكرير الزيت ومصانع الأسمدة بها، فردت عليها المدفعية المصرية أسكتتها، وتدخلت فى أعمال التجهيز الهندسى للخط الدفاعى على الضفة الشرقية للقناة، وهو ما عرف فيما بعد «بخط بارليف» وكأنهم بهذا الخط يقلدون ما فعل الإغريق بقيادة أجاممنون والبطل الأسطورى Achilleus وقد غزا طروادة وحاصروها وبنوا خطا يحميهم ويحمى سفنهم من سهام ونبال ومجانق الطرواديين الذين يقاتلونهم من وراء سورهم العظيم، كما أوردها هوميروس فى رائعته الشعرية ملحمة **الإلياذة** فى كتابها السابع(١٠).

---

(١٠) Richmond Lattimore, tr., ed., "Book Seven", **The Lliad of Homer,** (Chicago: The Vniversity of Chicago Press, 1961), PP. 168-81.

مرحلة الصمود

حققت القوات المسلحة بأفرعها المختلفة ذاتها فى مرحلة المواجهة وبدأت تنتقل إلى المرحلة التالية للصمود بثبات وثقة، وأخذت حرب الاستنزاف تتصاعد من جانب القوات المصرية معتمدة على الله ثم على قدرات أفرادها، ضباطا وجنودا وعلماء وعمالا، يساندهم فى ذلك الاتحاد السوفيتى؛ بينما الجانب الإسرائيلى الذى يعتمد أساسا على قواته الجوية مدعوما بإمكانات الولايات المتحدة الأمريكية وبأحدث مالديها من التقنية؛ بدأ يجبن من ناحية استخدامه لأفراده، وهى نقطة أثبت ميزان القوى تفاعلها لصالح الجانب المصرى.

استغلت القوات المصرية هذا الضعف فى جانب الاستراتيجية الإسرائيلية وركزت عليه؛ فاندفعت الدوريات المصرية عبر قناة السويس للإغارة على المواقع الإسرائيلية ولتدمير دوريات العدو السيارة فى كمائن أحسن إخفاؤها وانتقاء مواضعها وخطف الأسرى وإرباك القيادات، وظل نشاط العناصر الصاعقة والمظليين والمشاه تثير الرعب فى نفوس القوات الإسرائيلية على خط بارليف وفى عمق سيناء حتى طلبت القيادة الإسرائيلية وقف إطلاق النار، ولم تجد طلعاتهم الجوية بالقصف المركز على القوات المصرية المدافعة فى الضفة الغربية وفى العمق؛ ولم تمن القوات المصرية إلا بأقل خسائر، وفى يومى ٧و٨ مارس ١٩٦٩ قصفت المدفعية المصرية على طول الجبهة من السويس حتى القنطرة الخط الدفاعى الإسرائيلى واحتياطاته فى العمق التكتيكى، وكبدت الجانب الإسرائيلى ٦٠٪ خسائر من خط بارليف

وتحصيناته، ولم تكن قيادة القوات المصرية بعيدة عن القوات، فقد ظهر التلاحم الوثيق بين القيادة والقوات عندما تقدم إلى الخط الأمامى رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية الفريق عبد المنعم رياض ليشاهد بنفسه نتائج قصف المدفعية وليرفع بحضوره معنويات الجندى فى الميدان فاستشهد هناك -يرحمه الله- وتولى رئاسة الأركان العامة من بعده الفريق محمد صادق -يرحمه الله.

وكشفت القوات الجوية الإسرائيلية هجماتها فى المواجهة وفى العمق وأصبح من الضرورى تدعيم الدفاع الجوى عن القوات وفى العمق، وأنشأت القوات المسلحة حائط الصواريخ سام -٢ وسام -٣ المضادة للطائرات وأسقطت العديد من طائرات الفانتوم الإسرائيلية.

مرحلة التحدى

ومنذ عام ١٩٦٩م والقوات المسلحة المصرية تمسك زمام المبادرة فى أعمال الإغارات والكمائن حتى تهيأت القوات للدخول فى آخر مرحلة من مراحل حرب الاستنزاف وهى مرحلة التحدى، إذ شنت قوات الصاعقة المصرية والضفادع البشرية هجماتها على المواقع والدوريات الإسرائيلية فى شرقى خليج السويس وفى ميناء إيلات نفسه على خليج العقبة وأحدثت بها خسائر ضخمة ، تقول **الموسوعة العسكرية**:

«قامت قوة... منقولة بطائرات الهليكوبتر.. تعاونها قوة أخرى من المغاوير البحريين بمهاجمة مواقع إسرائيلية بالصواريخ... فى منطقة «رأس مطارمة - رأس ملعب» على الساحل الشرقى لخليج السويس، كما قام

رجال الضفادع البشرية المصرية بمهاجمة «ميناء إيلات» ثلاث مرات: الأولى فى يوم ١٩٦٩/١٠/٨م، والثانية فى ١٩٧٠/١/٢٥م، والثالثة فى ١٩٧٠/٢/٦م، وقد نقل رجال الضفادع البشرية إلى قرب «إيلات» بواسطة الهليكوبتر وأسفرت هذه الإغارات عن إغراق سفينتين إسرائيليتين سبق اشتراكهما فى عملية «الزعفرانة» وتدمير أرصفة ومنشآت وسفن أخرى فى الميناء، وعادت الضفادع المصرية سالمة فى جميع هذه العمليات، ونتيجة لعجز الجيش الإسرائيلى، بأساليبه التقليدية وإغارات المغاوير فى العمق المصرى وعلى الجناح الجنوبى للجبهة أى عند شاطىء البحر الأحمر، عن إيقاف عمليات حرب الاستنزاف المصرية التى تساهم فيها المدفعية ووحدات العبور وإغارات القوات الخاصة فى العمق الإسرائيلى قررت القيادة الإسرائيلية إدخال الطيران فى المعركة بصورة هجومية مباشرة[(١١)]».

وفى مواجهة الهجمات الجوية الإسرائيلية وقف حائط الصواريخ المضادة للطائرات شامخا ليسقط العديد من الطائرات المغيرة، وترتبك القيادة الإسرائيلية: إغارات بالمغاوير فى كل إتجاه وإغراق للسفن فى كل مياه وإسقاط للطائرات فى كل جو، نجحت القوات المصرية فى التصدى -بإمكانات محدودة وأسلحة عتيقة- لأكثر الأعداء غدرا وأحدث الأسلحة تقنية، ووثق الجندى فى نفسه وقيادته وسلاحه وعدالة قضيته، وأصبح قادرا على التضحية والفداء من أجل تحرير الأرض المغتصبة.

وهنا تحولت الاستراتيجية المصرية من الصمود والدفاع إلى المرحلة

---

(١١) الأيوبى، الموسوعة -الجزء الأول، ص ٥٢١.

النهائية لحرب الاستنزاف وهى التحدى والهجوم، تدربت القوات على الهجوم وعبور قناة السويس واقتحام المواقع الحصينة فى خط بارليف ووضعت القيادة الخطة «جرانيت -١» لاسترداد الأرض المغتصبة قبل مرور ثلاث سنوات، كما حددها القائد الأعلى فى مهمته السياسية التى خصصها للقائد العام، تقول **الموسوعة العسكرية**: «وكان يوم ٣٠ حزيران (يونية) من صيف عام ١٩٧٠م يوما مشئوما فى تاريخ سلاح الجو الإسرائيلى، إذ فقد ثلاثا من طائراته أثناء تحليقها فوق قناة السويس، وبعد بضعة أيام أسقطت له طائرات فانتوم أخرى بواسطة الصواريخ الموجهة، وهكذا رجحت كفة الميزان فى صالح الجانب المصرى»، مما شكل مصدرا للقلق والإزعاج لسلاح الجو الإسرائيلى والأمريكى على حد سواء» (ص ٥٢٣)، وكان الرئيس جمال عبد الناصر قد أعلن مسبقا (فى يوم ٢١ نيسان (أبريل) وفى اليوم الأول من أيار (مايو) ١٩٧٠م) «إن مصر قد استكملت قوتها الدفاعية وأن بإمكانها الانتقال إلى الهجوم وأخذ زمام المبادرة» (**الموسوعة** ص ٥٢٣).

وفى مراحل الحرب الثلاث : المواجهة والصمود والتحدى كانت القيادات المصرية بمختلف أنساقها تعمل بيقظة وحزم كل فى اختصاصه، نشطت هيئات وأجهزة القيادة العامة فى تنفيذ مهامها، فكل يوم تصدر الأوامر بتشكيلات جديدة لوحدات متنوعة من المشاه والمدرعات والمدفعية والمهندسين والعناصر الإدارية وغيرها، ونشطت البحوث والدراسات العسكرية ؛ فأصبحت خبرة القتال تحلل أولا بأول وتنشر على القوات للتدريب والتنفيذ، ونشطت البحوث والابتكارات الفنية والتكتيكية

وأدخلت تعديلات جديدة على الأسلحة السوفيتية القديمة والحديثة وطرق الاستخدام[١٢]، وازدادت اليقظة والحزم فى التدريب على ظروف تماثل ظروف المعركة الهجومية المقبلة ، وبلغت اليقظة مداها واتخذت القيادات موقف الحزم فى كل الأمور : حزم بدون صلف ورحمة بدون لين، كما يقول أحد علماء الاستراتيجية :

«ويجب على القائد ألا يلقى بالا إلى الظانين به ظن القسوة التى تمكنه من الحفاظ على الاتحاد والطاعة ؛ فلا يكون مثل القائد الذى يتراقى ويدع هناك مجالا للإخلال بالانضباط ، فهو فى النهاية أكثر رحمة من ذلك القائد اللطيف الذى يترك الأمور تسير على عواهنها وتؤدى فى النهاية إلى الدمار وسفك الدماء ؛ الأمر الذى يؤدى بدوره إلى تدمير الدولة بأكملها، فى حين أن القسوة الظاهرة trans cendent cruelty لا ينال عهدها إلا المخطئين فقط[١٣]».

كان التعاون الوثيق واضحا ومتكاملا بين القيادة العليا وبين القيادة العامة، فقد تعرفت القيادة العليا على موقف القوات المسلحة بصدق وأمان؛ ولهذا كانت تلبى مطالبها من الأسلحة والمعدات، وبالتالى أدى الموقف

---

(١٢) ابتكر مؤلف هذا الكتاب مقدر المسافة لرامى الدبابة ت -٥٤ وت -٥٥، كما قدم بحثا عن **«الخداع بين النظرية والتطبيق»**، وكان لهما أثر كبير فى إحراز النصر فى حرب رمضان/أكتوبر ١٩٧٣م، كما ابتكر (اللواء) سعد الشاذلى مسلم الحبال ليتسلقه أفراد المشاه بعد عبورهم القناة لاقتحامهم خط بارليف، وأشرف كذلك على وضع مخطط تفصيلى لتنظيم أعمال العبور بالزوارق المطاطية، وابتكر اللواء المهندس جلال سرى -يرحمه الله- فكرة استخدام مضخات ضغط عال لضخ المياه فى خراطيم لتجريف الساتر الترابى على خط بارليف.

(١٣) Machiavelli, Op. Cit., P. 54.

القوى للقوات المسلحة إلى أن تقف القيادة السياسية على أرض صلبة أثناء مباحثاتها مع روجرز فى مبادرته التى أعلنها.. يقول الفريق أول فوزى :

«كان الوصول إلى مبادرة روجرز مقترنا بثلاث نقاط أصر عليها عبد الناصر منذ ١٩٦٧م وهى :

١ - الأراضى العربية كلها وليس الأرض المصرية فقط .

٢ - وقف القتال ليس نهائيا وإنما محدد بمدة ؛ إن لم تصل فيها المفاوضات إلى شىء فيستأنف القتال .

٣ - لا مفاوضات مباشرة .

ولم يكن عبد الناصر يستطيع ذلك بعد ٦٧ إلا بمعارك الدم والنار التى استمرت ثلاث سنوات[١٤]» .

ولم تكن المواجهة فى واقع الأمر بين الجندى المصرى وبين الجندى الإسرائيلى إلا تجسيدا للمواجهة بين القوتين العظيمتين : الاتحاد السوفيتى الذى يساند مصر وسوريا والولايات المتحدة التى تساند إسرائيل.. يقول المشير محمد الجمسى : «ولم تكن المعونة العسكرية السوفيتية بالأسلحة والخبراء والمستشارين للجانب المصرى والسورى إلا بما يحقق أهداف السوفيت السياسية الاستراتيجية فى منطقة الشرق الأوسط فى مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية[١٥]».

---

(١٤) عبد السميع، **الوسط** ٢٠، ص ٣٦.

(١٥) عبد السميع، «المشير عبد الغنى الجمسى يروى للوسط ذكرياته عن أكبر الحروب العربية المعاصرة» الوسط، العدد ٣٥، الصادر فى ١٩٩٢/٩/٢٨م، ص ٣٣.

وعلى أية حال ، ضربت القيادة العامة المصرية مثالا يحتذى به فى إعادة بناء القوات المسلحة المصرية فى زمن قياسى - ثلاث سنوات - بتطبيق مبادىء متعددة من مبادىء فن الحرب ، ونخص منها مبدئى: «اليقظة» و«الحزم» وهما المبدآن اللذان اتخذناهما عنوانا مميزا لأصول القيادة فى حرب الاستنزاف ، نجحت القيادة العامة فى تحقيق المهمة السياسية الاستراتيجية، وهى إعادة بناء القوات المسلحة المصرية بعد أن قسمتها إلى ثلاث مراحل هى المواجهة والصمود والتحدى ، وبناء على ذلك أصبحت خططها وقواتها على أعلى درجات الاستعداد القتالى لاسترداد الأرض المغتصبة .

لقد بدأت براعم النصر تنمو فى سبخات الهزيمة قبل أن تنتقل القيادة السياسية من عبد الناصر إلى السادات ، وتتبدل بعدئذ القيادة العسكرية محمد محمد فوزى إلى محمد صادق حتى آلت إلى أحمد إسماعيل ليقطف الثمار بنفس التنظيم والتخطيط والتسليح والتدريب والروح المعنوية التى غرسها ونماها فيها فوزى ، حتى دخلت بها حرب أكتوبر المجيدة وانتصرت ... ﴿ وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ﴾ (الآية : ١٢٦ من سورة آل عمران) .

التكامل والثقة فى تشكيل القيادة العسكرية

تتشكل القيادة العامة للقوات المسلحة عموما من القائد الأعلى - الملك أو الرئيس أو الأمير أو السلطان - والقائد العام - وزير الدفاع - ورئيس هيئة الأركان العامه ورئيس هيئة العمليات ، وسوف يقتصر التركيز فى هذه الدراسة على هؤلاء الأربعة الكبار . والنموذج التطبيقى فيها عن القوات المسلحة المصرية فى حرب رمضان ١٣٩٣هـ - اكتوبر ١٩٧٣م على ضوء نظريات نيقولو ماكيافيللى التى أوردها فى كتبه الأمير .

ففى هذا التشكيل كما نرى فى هذا البحث تكامل يندر أن يحدث فى أية قيادة ، ولعل هذا البحث يكون مقدمة لعدة بحوث يقدمها الدارسون العسكريون تتناول تراجم القادة العرب وسيرهم الذاتية سواء أكانت على شكل مذكرات خاصة عن تاريخ حياتهم والدوافع والأسباب التى تكمن فى سر نبوغهم وتفوقهم ، أو فى أى شكل آخر .

على أن الانسان لا يمكن أن يكون كاملا وإلا أنتقل من مرتبة البشر الى منازل الأنبياء والرسل ، وليس من العيب أن يخطئ المرء ولكن العيب كله أن يعرف الخطأ ويتمادى فيه أو يتغافل عنه أو يتجاهله ، أعنى أن الصواب وارد والخطأ وارد ؛ فلم يأت أى صواب إلا بعد محاولات خاطئة ؛ ولم ينزل الأنبياء والرسل إلا لإصلاح أخطاء شاعت فى المجتمعات التى ارسلوا إليها وبعثوا فيها .

وسوف نتعرف فى هذا القسم للصفات الشخصية والوظيفية للقادة وعلاقة التفاهم والترابط بين هؤلاء الأربعة الكبار ، وهم الأربعة الذين جاء

عزفهم متناغما فى حرب رمضان متناسقا كل التناسق و تكمل النغمة فى "معزوفتهم" باقى الأنغام حتى جعلت هذه "المعزوفة" من روافع الأعمال العالمية التى يذكرها التاريخ العسكرى بالمجد والفخار ، ولإن شذت إحدى النغمات عيويا فى اللحن المتكامل سارعت الأنغام الأخرى للتغطية والتعويض .

وقائد هذه "الجوقة" هو الرئيس الراحل محمد أنور السادات (٢٥ ديسمبر ١٩١٨م - ٦ أكتوبر ١٩٨١م) ولد فى قرية ميت ابو الكوم فى دلتا النيل من أم سودانية ، دخل الكلية الحربية الملكية المصرية فى عام ١٩٣٦م وتخرج من الكلية الحربية فى عام ١٩٣٨م ، وله خبره سابقة فى حرب العصابات ضد القوات البريطانية المحتلة ، وله نشاط سرّى فى التعامل مع عملاء الجيش الألمانى فى شمال افريقيا ، وعندما اكتشفت السلطات المصرية والبريطانية ذلك أحيل الى التقاعد ثم أعيد الى الخدمة العسكرية فى عام ١٩٥٠م برتبة المقدم فى سلاح الإشارة ، وقد تولى عدة مناصب مدنية فى عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر حيث ترأس جريدة الجمهورية وترأس مجلس الأمه (البرلمان) قبل أن يصبح نائبا لرئيس الجمهورية فى عام ١٩٦٤م حتى ١٩٧٠م وتولى رئاسة الجمهورية رسميا فى ١٧ اكتوبر ١٩٧٠ بعد وفاة عبد الناصر فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ حيث شارك فى أعمال القيادة الجماعية مع أعضاء آخرين قبل أن ينفرد بالسلطة(١) .

كانت خطة السادات السياسية تتضمن تحقيق الوحدة أو التقارب العربى وخطته العسكريه تتضمن تحرير الأرض المحتلة منذ هزيمه ١٩٦٧م من

السيطرة الإسرائيلية ، واقترح تشكيل إتحاد فيدرالى مع سوريا وليبيا فى عام ١٩٧١م ؛ ولكن هذا الإتحاد لم يكن له فاعلية ملموسة .

وكانت القيادة العامة المصرية فى ذلك الوقت تتكون من الفريق أول محمد فوزى وزيرا للحربية والفريق محمد صادق رئيسا للأركان واللواء سعد الدين مأمون رئيسا لهيئة العمليات . وكان اللواء أحمد اسماعيل على رئيسا لجهاز المخابرات العامة التابعة مباشرة لرئيس الجمهورية ، واللواء محمد عبد الغنى الجمسى رئيسا لهيئة التدريب واللواء سعد محمد الحسينى الشاذلى قائدا للقوات الخاصة : المظليين ورجال الصاعقة .

وكانت القيادة العامة بقيادة فوزى قد أتمت اعادة التنظيم والتسليح والتدريب للقوات المسلحة على مهام العمليات المقبلة بمساعدة الخبراء والمستشارين السوفيت ، وقد قامت وحدات فرعية من مختلف التشكيلات الميدانية بعمليات تعرضية فى فترة حرب الأستنزاف ، تتضمن عبور قناة السويس واجتياز خط بارليف ونصب الكمائن للدوريات الإسرائيلية واختطاف الأسرى والعمل فى عمق سيناء . وكانت الروح المعنوية للقوات معبأة للقتال والروح الهجومية تستحث الضباط والجنود للقتال وفى غمرة هذه الأحداث شُكّلت القيادة العامة الجديدة بعد طرد الخبراء والمستشارين السوفيت ، وفُتِحتَ قنوات الإتصال الودى مع الولايات المتحدة فى عام ١٩٧٢م ، حسبما ورد فى دائرة المعارف The New Book of Knowledgem . Vol. 17

وفى ٥ يونيه عام ١٩٧٣م كان الرئيس السادات مرتديا ملابس الميدان

يمر فى جولة ميدانية فى الجيش الثالث الميدانى وبرفقته الفريق أولى أحمد اسماعيل على القائد العام الجديد للقوات ؛ ووقف بنفسه على مدى الإستعداد القتالى للعمليات . وأتخذ قرار الحرب وعبور قناة السويس واسترداد قطاع من سيناء فيما عرف بالخطة "بدر" وفى اليوم العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ - السادس من اكتوبر ١٩٧٣م بدأت الحرب وكان يتابع بنفسه سير المعركة من مركز قيادة القوات المسلحة .

كان السادات قائدا عسكريا بطبيعته ، سياسا بخبرته ، تربى فى أحضان الجندية ودرس التاريخ العسكرى وأحس بنبض جنوده ولاحظ كيف يدير مشاهير القادة المعارك مثل أخيل البطل الاسطورى الإغريقى فى حصار طرواده Ilium ، والاسكندر الاكبر المقدونى ويوليوس قيصر الرومانى ، وسيروس الفارسى وشيبيو Scipio الرومانى وهانيبال القرطاجى وتعلم كثيراً من دروس الهزيمة فى يونيو ١٩٦٧ . وكانت المعركة الهجومية شغله الشاغل دون أن يطلق الشعارات ويعلن ذلك على الملأ ، وكان يعرف قدرات بلده وطبيعة أرضها وجوها وشعبها وجيشها . عرف كما يقول عالم فن الحرب والسياسة ماكياڤيللى فى رائعة اعماله كتاب الأمير : "كيف يفاجئ العدو وكيف يختار وقت المعركة وكيف يجهز قواته لها وكيف يدبرها وكيف يستغل أنسب الظروف والمواقع"[٢] .

يقول ماكياڤيللى : "ليس من اللازم حينئذ أن تتوفر فى الأمير جميع الصفات الحسنة متكاملة ، ولكنه يجب أن يتظاهر بالتحلى بها ، فإذا تحلى بها جميعا وأبرزها فى تصرفاته فلربما جلبت عليه أذى من تطبيقها ؛ بينما

التظاهر بها يفيده ، ولهذا فمن المرغوب فيه أن يتظاهر بالرحمة والثقة والإنسانية والتدين والإستقامة ، ولا بأس كذلك فى أن يمارسها بحيث يضع فى اعتباره دائما أن يكون على استعدادا للتغيير وإضهار العكس"[٣] .

ولقدكان السادات شرسا كالأسد ، ماكرا كالثعلب . فهو شرس فى طرد الخبراء السوفيت فى ظرف يومين بعد ما تبين له انهم يحاولون ان يتخذوا من مصر موطن قدم لهم ؛ إذ بدؤا يتخذون لأنفسهم قواعد بحرية وجويه يحرم على المصريين حتى من كبار القادة دخولها . وكان شرسا كالأسد عند تغيير القيادة الجديدة وفى الجانب الأخر تراه ماكرا كالثعلب فى تعامله مع الولايات المتحدة وإخفاء نواياه الهجومية حتى تمت المفاجأة وعبرت القوات واستولت على قطاعات فى سيناء قبل أن يعلن : "أمريكا دخلت المعركة ... وأنا لا أواجه امريكا" .

والرئيس أو الأمير - كما يقول المُنَظِّر ماكيافيللى - معرض لنوعين من المخاطر : خطورة خارجية وخطورة داخلية . وفى مواجهة هذه القوى الخارجية عليه أن يجهز قواته بأحدث الأسلحة وأن يشد ازره بالحلفاء المخلصين ، وعندما تستقر الأمور الخارجية تستقر تباعا الأمور الداخلية . أما الحلفاء المخلصون للسادات فهم سوريا وليبيا والمملكة العربية السعودية ، تقاسمت مصر وسوريا خطة الهجوم ، ونشأت قيادة موحدة بينهما وعقد الرئيس السادات اجتماعا سريا مع صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية فى ذلك الوقت (يرحمه الله) قبل بدء الحرب بساعات كما جاء فى مجلة الوسط العدد ٣٥ الصادر فى يوم

٢٨سبتمبر١٩٩٢م وتكمن الخطورة الخارجية فى إسرائيل ومن ورائها الولايات المتحدة .

وأما الخطورة الداخلية فهى ما عبر عنه بالمؤامرة ولربما استغل السادات هذا الظرف لتجديد القوة الدافعة للقوات بتشكيل قيادة ميدانية جديدة ذات خبرات قتالية واستراتيجية مشهود لها بها من ناحية مع ضمان تأمين نفسه ضد مخاطر التآمر التى نفض يده توا منها .

تجلت عبقرية السادات فى تشكيل هذه القيادة الثلاثية من عناصر يكمل بعضها البعض وثيق فى أمنها وسلامتها ، فمن حيث التكامل يعتبر الفريق أول أحمد اسماعيل على من رجال الاستراتيجية الميدانية القلائل المعدودين فى العالم العربى ، له خبرة حرب مع العدو الاسرائيلى فى حرب العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦م فى معركة أبو عجيله ؛ وفى حرب يونيه ١٩٦٧م وكذلك فى حرب الاستنزاف منذ عام ١٩٦٧م حتى عام ١٩٧٠م حين أحيل الى التقاعد . وتتجسد معظم خدمته فى قيادة الوحدات والتشكيلات الميدانيه النمطية ونظرته الاستراتيجية الشاملة إلى الأمور تباعد بينه وبين النظر الى التكتيكات والتجهيزات الصغرى للواحدات الفرعية والصغرى .

ومما يكمل القائد العام للقوات المسلحة رئيس الأركان العامة الذى يتحلى بخفة الحركة وسرعة التصرف المعروفة فى رجل الصاعقة والمظلى الذى لا يخضع لنمط قتالى معين وإنما لكل موقف ظروفه ولكل ظرف قرار وتصرف وتلك الصفات يتحلى بها الفريق سعد الشاذلى رئيس الأركان العامة الجديد الذى يتحلى كذلك بالدقة فى تجهيز الفرد وتسليحه وتحركاته وتأمينه

وتبسيط الإجراءات والتعليمات الصادرة إليه حتى يستوعبها تماما ويكون قادراً على التنفيذ تباعا وبهذه الصفات التكتيكية يكمل رئيس الأركان النظرة الشاملة دون الفردية التى يلتزم ها القائد العام .

أما اللواء محمد عبد الغنى الجمسى فقد جمع فأوعى بين صفات القائد وصفات رئيس الأركان تجده يفكر فى الخطة الشاملة بمفهوم استراتيجى عام كما يفكر فى الفرد بدقة واهتمام ، وهو حاضر البديهة واسع الاطلاع عميق التفكير ، يقدر المستقبل على ضوء دراسة الماضى ، ويستشف ما وراء الأحداث بفكر ثاقب وبصيرة لماحة .

ذلك هو جانب التكامل فى هذه القيادة الموقرة أما جانب الثقة والأمن استوحاه القائد الأعلى من عِبَر الماضى القريب ومن دراسة علوم التراث الانسانى ولفلسفة التاريخ التى ابتدعها ابن خلدون وسار على نهجه ماكياڤيللى ، ولولا اختلاف الفريق محمد صادق مع الفريق أول محمد فوزى - كما ورد فى اجهزة الاعلام المسموعة والمرئية والمقروءة لتعرض السادات لرياح المؤامرة فى يوم ١٥ مايو ١٩٧١ . ولهذا جاء تركيب القيادة الثلاثية المتكاملة فى الإمكانات والمواهب الاستراتيجية والتكتيكية ليخدم القيادة السياسية ويؤمنها من جانب القوات المسلحة . إذ انه وضع فى تقديره عوامل نفسية تحول دون اتفاق هؤلاء الثلاثة - رغم تكاملهم - لعمل ذاتى دون المصلحة العامة ؛ أعنى التآمر فكيف يكون ذلك؟

فالمشير أحمد اسماعيل على (١٩١٧ - ٢٧ ديسمبر ١٩٧٤م) - كما ورد فى الموسوعات - عسكرى مصرى ومن أبطال حرب تشرين الأول -

اكتوبر ١٩٧٣ ، خريج اكاديمية فرونز العسكرية السوڤياتية لعب دورا بارزاً في الجبهة بعد هزيمة حزيران يونيه ١٩٦٧م وأصبح رئيسا للمخابرات (العامة) الى أن عين وزيرا للحربية عام ١٩٧٢م وساهم فى إتمام إعدادا القوات المسلحة المصرية لحرب تشرين الأول - اكتوبر ١٩٧٣م . عرف بجديته ورأيه وتواضعه[٤] كما عرف بحبه للجندية وإخلاصه لها ، درس كل ما صدر عن علومها القديمة والحديثة فى الشرق والغرب ، وكان معتدلا فى حياته الخاصة متدينا وخلوقا (ذا خلق حسن) اكتسب خبرة القتال والعمليات من دروس الحرب العالمية الثانية ومن الحرب الأسرائيلية العربية على وجه التحديد ؛ غرست فى نفسه هزيمة يونيه ١٩٦٧ الحيطة والحذر واتباع أساليب الابتكار دون التورط فى مغامرات غير محسوبة لا تحمد عقباها .

شارك أحمد اسماعيل فى إعادة بناء القوات المسلحة المصرية فى اعقاب الهزيمة ، وكان مساعده الأول فى ذلك اللواء محمد الجمسى قبل إحالة الأول إلى التقاعد فى عهد الرئيس جمال عبد الناصر ، وفى عهد السادات أعيد الى الخدمة العامة ليقود القوات المسلحة فى معركة التحرير وكان مساعده الأول الجمسى كذلك .

ولكن السادات أدخل الشاذلى بينهما ليكون رئيسا للأركان وهو عمل يزيد من التكامل فى القيادة العامة والثقة بالنسبة للقيادة العليا ، وربما يتساءل القارئ : هل كان هناك اختلاف أو التباس أو تنافر بين الأطراف الثلاثة إسماعيل والشاذلى والجمسى؟ وقد يتصور البعض أن فترة خدمة اسماعيل فى الكونجو وتواجد الشاذلى هناك فى هذه الفترة قد آثار شيئا من

سوء الفهم المتبادل(٥) وقد يتبادر إلى الأذهان كذلك أن نجاح الشاذلى فى قيادة منطقة البحر الأحمر العسكرية وهى المنطقة التى أحيل اسماعيل بسببها إلى التقاعد عمل يحمل فى طياته شيئا من سوء تقدير القيادة السابقة .

وربما ظن الكثيرون كذلك أن الجمسى الذى كان يتطلع إلى منصب رئيس الأركان كما عوده قائده اسماعيل فى قيادة القوات البرية قبل عام ١٩٦٧ وفى قيادة المنطقة العسكرية الشرقية (الجيش الثانى الميدانى فيما بعد) فى أعقاب الهزيمة قد تأثر نفسيا من شغل الشاذلى لهذا المنصب .

ومن هذا المنطلق ربما تعاون المحللون العسكريون المحبون للمقارنة وضع الشاذلى كرئيس للأركان فى حرب ١٩٧٣م بوضع فوزى كرئيس للأركان على ضوء الدراسات الاستراتيجية ، ولكى تتضح الصورة وتظهر معالمها بوضوح تعالوا نلقى الضوء على هذا الرجل : الشاذلى والفريق سعد الشاذلى كما تقول دائرة المعارف للشخصيات ولد وتربى فى قرية بسيون فى دلتا النيل ثم درس فى مدرسة الخديوى اسماعيل الثانوية فى القاهرة دخل الكلية الحربية فى عام ١٩٣٩ وتخرج فى سنة ١٩٤٣م ضابطا فى سلاح خدمة الجيش (هيئة الإمداد والتموين حاليا) ، درس فى كلية القيادة والأركان ١٩٥٢ - ١٩٥٤م ثم درس فى مدرسة المشاة فورت بننج بالولايات المتحدة ١٩٥٣م Fort Benning Infantry School وفى الاتحاد السوفيتى درس القيادة والأركان ١٩٥٨ - ١٩٥٩ .

وفى الحرب العربية الإسرائيلية عام ١٩٤٨ كان قائدا لفصيلة مشاة ثم

تولى قيادة مدرسة المظليين ١٩٤٥ - ١٩٥٦ ثم قائدا لكتيبة المظليين ١٩٥٦ - ١٩٦٠م وفى عام ١٩٦١ كان قائدا لقوات المظليين المصرية التابعة لقوات الطوارئ الدولية فى الكونجو برتبة المقدم وهى نفس الفترة التى كان فيها العقيد احمد اسماعيل على مستشارا عسكريا للرئيس لومومبا(٦) وفى حرب يونيه ١٩٦٧م كان قائدا للمجموعة الأولى خفيفة الحركة على الحدود المصرية الإسرائيلية فى سيناء قيادة منطقة البحر الأحمر العسكرية من ١٩٧٠ - ١٩٧١م ثم تعين رئيسا للأركان العامة فى مايو ١٩٧١م حتى ديسمبر ١٩٧٣م(٧) .

نجح سعد الشاذلى فى قيادة منطقة البحر الأحمر العسكرية ذلك لأن هذه المنطقة متباعدة الأطراف وبها من الأهداف الاستراتيجية والتكتيكية والحيوية الكثير مثل آبار البترول ومستودعاته وموانيه والأهداف العسكرية الأخرى مثل الرادارات والمنشآت العسكرية والطرق ، وهى الأهداف التى كانت تقذفها الطائرات الإسرائيلية وتتعرض للكمائن والإغارات الإسرائيلية المخططة ، وكانت القوات المصرية المنوطة بالدفاع عن ذلك الأهداف محدودة، وتسلك أساليب قتال نمطية الأمر الذى شكل صعوبة للقيادة السابقة ، ولكن الشاذلى أوجد حلولا مدروسة قللت من حجم الأعمال التعرضية الإسرائيلية وأحبطتها .

والمعروف أن الشاذلى أبتكر سلما من الحبال يتسلقه الجنود لأجتياز الساتر الترابى على خط برليف كما أشرف وهو رئيس الأركان على وضع برنامج زمنى ينظم رحلات الزوارق المطاطية عبر القناة ؛ وهى الخطة التى

ساعدت كثيرا فى أعمال العبور دون تعقيد .

ومن هذا السرد نلمح تفاصيل أوجة التكامل بين كل من أحمد اسماعيل وسعد الشاذلى وكذلك بذور الخلاف إن كان هناك خلاف محتمل . وأيا كانت العلاقة طيبة أو موتورة فقد اختلف الطرفان فى وجهات النظر ما يفسح المجال لدراسة الخطط بتفاصيل أدق من جانب وما يؤمن القيادة السياسية العسكرية العليا من جانب آخر .

قبل أن نلقى الأضواء على رئيس هيئة العمليات The International Who's Who والمشير محمد عبد الغنى الجمسى (٩ سبتمبر ١٩٢١-...) كما ورد فى دائرة المعارف للشخصيات العالمية ولد فى قرية البتانون فى دلتا النيل ودخل الكلية الحربية فى عام ١٩٣٩ وتخرج فى الكلية الحربية عام ١٩٤١ ملازما فى سلاح الفرسان الملكى . درس فنون الشرطة العسكرية فى الولايات المتحدة فى عام ١٩٤٦ وحضر دورة كلية القيادة والأركان المصرية فى عام ١٩٥١ وفيها تتلمذ على يد أحمد اسماعيل ثم حضر معه وتبادلا الفكر والمشورة ، وعمل مساعدا لمدير إدارة التعبئة ١٩٥٤ - ١٩٥٥م وتولى قيادة الآلاى الخامس أستطلاع (فوج) ١٩٥٥ - ١٩٧٥ وعمل رئيسا لعمليات القوات المدرعة ١٩٥٧ - ١٩٥٩ ثم قائدا للواء الثانى المدرع ١٩٥٩ - ١٩٦١ ، فقائدا لمدرسة المدرعات ١٩٦١ - ١٩٦٦ ، فرئيسا لعمليات القوات البرية ٦٦ - ١٩٦٧ برفقة اللواء احمد اسماعيل رئيس الأركان للقوات البرية فرئيسا لأركان المنطقة العسكرية الشرقية ٦٧-١٩٦٨ وكان قائد المنطقة كذلك هو أحمد اسماعيل ، ثم عمل

نائبا لمدير ادارة المخابرات الحرية والاستطلاع ٦٨-١٩٧٠م ، فقائد المجموعة عمليات فى الجبهة السورية ٧٠-١٩٧١م فرئيسا لهيئة عمليات القوات المسلحة ونائبا لرئيس الأركان العامة ٧٢-١٩٧٣م فرئيسا للأركان العامة ١٩٧٣-١٩٧٤م[٨] فنائبا لرئيس الوزراء ووزير الدفاع والانتاج الحربى ١٩٧٤-١٩٧٩م .

عرف الجميع عن الجمسى الالتزام والإعتدال فى الملبس والحديث والانضباط وحسن العلاقات العامة ، وهو دقيق فى عمله تحرز جميع الوحدات التى يتولى قيادتها أعلى التقديرات فى التدريب والانضباط وصيانة الاسلحة والمعدات وكفاءة الاستعداد القتالى ، وهو كما سبق القول حاضر البديهة واسع الاطلاع فى العلوم الاستراتيجية والتكتيكية واساليب التدريب والتاريخ العسكرى ، وهو شديد الإعجاب بالفيلد مارشال مونتجومرى لدرجة أن خطة العمليات فى حرب رمضان أكتوبر التى وضع تفاصيلها جاءت شديدة الشبه بمعركة العلمين وكذلك خطة الخداع الملحقة بها.

والملاحظ كذلك مما سبق ذكره أنه قريب الصلة بالمشير أحمد اسماعيل ، وعندما تسلم احمد اسماعيل وزارة الحربية واصبح قائدا عاما للقوات المسلحة كان بوده لو جاء الجمسى رئيسا للأركان ولكن قرار السادات كان أكثر صوابا بالنسبة لتحقيق التكامل والأمن فى هذه القيادة يوجد الفريق الشاذلى رئيسا للأركان وربما كان الجمسى أقدم فى التخرج من الشاذلى وهو عامل نفسى لا يستهان به عند تعاملهما معا ، ولكن الجمسى بحكمته كان

قادرا على تجاوز كل هذه العوامل فى سبيل المصلحة العليا .

فهل حقق السادات بذلك ما أوصى به منظروا علوم السياسة والاستراتيجية ؟

خصص ماكيافيللى الفصل الثانى والعشرين من كتابه المذكور لبحث "كيفية اختيار الأمير لوزراته" فيقول : "ليس من اليسير على الرئيس اختيار الوزير فإذا جاء الوزير واعيا ومخلصا دل ذلك على فطنة الرئيس ويتمثل حكمنا على ذكاء الأمير فى حسن انتقائه للعناصر المحيطة به فإذا كانت مجتهدة مخلصة دل ذلك على ذكائه وحكمته ، وإذا كانت تلك العناصر على عكس ذلك حكمنا على الرئيس بعكس ذلك أيضا ؛ حيث يكون بذلك قد ارتكب أول خطأ بسوء الاختيار"(٩) .

ويرى علماء الاجتماع ان هناك ثلاث درجات للرئيس الألمعى : أولها ذلك الذى يستشف الأمور بنفسه وثانيها ذلك الذى يستوعب ما يذكر له وثالثها ذلك الذى لا يستشف ولا يستوعب وهذا الأخير هو أسوأ تلك الدرجات والسادات يَجْمَعْ بين النوعين الأول والثانى فى أمور السياسة والعسكرية على التوالى .

ويخضع اختيار السادات لوزيره اسماعيل لتلك القاعدة التى لا تخطئ : "فعندما ترى وزيرك يفكر فى نفسه اكثر مما يفكر فيك" أيها الأمير ، وتلاحظ انه يتخذ من الإجراءات ما تحقق اهدافه هو ، أعلم بأن هذا الوزير لا يصلح لأن يكون وزيرا مناسبا ؛ وبالتالى لن يكون موضع ثقتك !! فإذا أُسْندت إلى الوزير الصالح مهام الدولة يجب ألا يفكر فى نفسة بل يجب

أنه ينصب كل تفكيره على أميره ، ويجب عليه ألا يشغل الأمير بما لا يعنيه مباشرة .

ومن جانب آخر لكى يجعل القائد الأعلى وزيره صالحا وجب عليه احترامه وتوقيره واشباع ما فى نفسه بدلا من أن يدعه يبحث من ورائه عما يشريه ويشرفه ويرفع من قدره وعندما تواجه الوزير مسئوليات حسام تستلزم التغيير فى بعض الأمور يجب أن يعمل القائد الأعلى على الاستماع الى مشورته بعد تمحيص ، وعندما يسير الرئيس ووزيره على هذا المنهج السوى سوف تتدعم الثقة بينهما ، وإذا كان العكس هو الواقع الفعلى فسوف تكون العاقبة سيئة على أحدهما أو كليهما .

ولقد أحسن السادات اختيار وزيره أحمد اسماعيل على واكتسب بذلك ثقة الوزير وثقة الجمهور وثقة القوات المسلحة التى تعرف قدر أحمد اسماعيل وقد استمع اليه واحترمه ووقره فى كافة المجالات بما يستحق ؛ بل ترى السادات يتراجع أمام وزيره عن بعض الأمور التى نصحه بها الوزير ، ويلخص اللواء حسن البدرى ذروة هذه العلاقة بين السادات واحمد اسماعيل فى مجلة الدفاع العربى فى مقارنة بين المشير أحمد اسماعيل والمشير ليومونتجومرى فيقول :

"وأخيرا كان احمد اسماعيل يشبه مونتى ... فى جنوحه إلى اللامركزية فى إدارة دفة العمل وكذلك فى شدة الالتزام بالتقاليد والأعراف المرعية وفى عشق الجندية وفى الانضباط مع القدرة على مواصلة العمل الشاق لمدة طويلة دون كلل أو ملل ؛ فضلا عما اتصف به من صراحة تامة كثيرا ما بلغت حد

الإيلام فى مواجهة الإهمال والتسيب أو عندما يتدخل فى عملهم أحد على نحو ما حدث لأحمد اسماعيل فى الليلة السابقة على المعركة عندما نما إلى علمه أن مطار القاهرة قد أخلى من طائراته وتوقف تماما عن العمل ، فلما سأل قائد المطار عما دفعه إلى هذا العمل الأحمق قال انه تنفيذا لأوامر رئيس الجمهورية ، واسرع أحمد اسماعيل بالاتصال بأنور السادات الذى أقر بإصدار هذا الأمر خشية أن تتحطم طائراتنا مرة أخرى كما حدث لها عام ١٩٦٧. وجاء رد أحمد إسماعيل الهادئ الحاسم..." انك بهذا قد تنقذ بضع طائرات قليلة ولكنك قد تفقدنا المعركة نفسها بالكشف مبكرا عن نيتنا الهجوم فى الغد ، ومن الضرورى ألا يدير المعركة أكثر من قائد عسكرى واحد" .

ورد السادات بصوت مشحون بالحرج ... "أفهم تماما وجهة نظرك ، وأعدك ألا أتدخل مرة أخرى"(١٠) .

وعلى أية حال بدأت المعركة وأدارتها القيادة العامة تحت إشراف القائد الأعلى ، وتم تحقيق المهام الموكلة للقوات المسلحة نجاح إلى أن حدثت الثغرة واختلف سعد الشاذلى عن باقى مجموعة القيادة . فيرى الشاذلى سحب جزء من القوات المصرية التى عبرت القناة وإعادتها غربا حتى يمكن بواسطتها تصفية القوات الإسرائيلية داخل الثغرة ، وفى هذا الشأن كان تقرير اللواء محمد الجمسى رئيس هيئة العمليات أنه "بالإحصاءات والأرقام ، لدينا من القوات فى الضفة الشرقية للقناة ما يجعل المحافظة على نتائج حرب تشرين الأول (اكتوبر) أمرا محققا ، وأن قواتنا لديها من الأسلحة

الأسلحة والمعدات مما يجعلها قادرة على صد أية هجمات اسرائيلية ، كما أظهرت خطورة فكرة سحب أية قوات من الضفة الشرقية وانه يجب أحتواء الثغرة بقواتنا الموجودة فى الضفة الغربية أيضاً"[١١] (وهى الفرقة الرابعة المدرعة والفرقة الحادية والعشرون المدرعة والفرقة الثالثة المشاه الآليه) ... وقرر السادات أنه لن يسحب أى جندى من الضفة الشرقية للضفة الغربية ، مع أحتواء الثغرة فى الغرب بالقوات المصرية الموجودة فى الغرب فقط" .

وبعد هذا الخلاف فى الرأى نُقِلَ الشاذلى من وزارة الدفاع إلى وزارة الخارجية ليعمل سفيرا بعد الحرب مباشرة ، ويقول الجمسى : "وسألت المشير احمد اسماعيل فى هذا الموضوع فكان رده "هذا قرار سياسى وليس لنا أن نناقشه» .. وسكت وقد أجريت هذا الحديث المنفرد مع المشير لأننى فى الواقع ، كنت أتساءل فى حيرة لماذا ينقل الشاذلى ؟ إن إختلاف وجهات النظر مطلوب وهو أمر عادى ولا يمكن أن يكون سببا معقولا لهذا العزل أقسم بالله لا أعرف سبب عزل الشاذلى وإلا ما كنت سألت أحمد إسماعيل"[١٢] .

وأقسم الجمسى بالله جهد إيمانه أن الشاذلى لم يكن منهارا لا عند حدوث الثغرة ولا حين نقله إلى وزارة الخارجية .

ولعل القارئ العادى لا يستطيع أن يستوعب مضمون هذه الدراسة بنفس القدر الذى يتوفر لدى المعلق العسكرى أو المحلل النفسى المتخصص ، الذى يستشف ما بين السطور .

وقد تعرضت هذه الدراسة بإيجاز شديد للسير الذاتية للسادات واسماعيل

والشاذلى والجمسى وما أحوجنا إلى تقصى سيرتهم وتراجمهم بالتفصيل ، كلا على حدة ، تتناول نشأتهم والدوافع والأسباب التى تكمن فى سر نبوغهم وتفوقهم حتى تكون حياتهم نبراسا يضيئ للأجيال العربية الصاعدة طريق التقدم والإبداع .

على أن الإنسان لا يمكن أن يكون كاملا وإلا أنتقل من مرتبة البشر إلى منازل الأنبياء والمرسلين أو ليس من العيب أن يخطئ المرء ، ولكن العيب كله أن يتجاهل الخطأ ، أو يعرفه ويتمادى فى ارتكابه - فلم يأتى الصواب إلا بعد محاولات خاطئة ، ولم ينزل الأنبياء والمرسلون إلا لإصلاح أخطاء شاعت فى المجتمعات التى أرسلوا إليها وبعثوا فيها .

رحم الله السادات واسماعيل وحيا الله الجمسى والشاذلى .

الهوامش

1- Dan Peret. Anwar El -(1918-1918)," .

The New Book Of Knowledge, Vol. 17, (Danbury:Grolier Incorporated, 1987).P.80.

2- Niccolo Machiavelli, The Prince: The Harvard Classics, Vol. 36, Trans. N.H. Thomson, ed. Charles W. Eliot, (New York: P. F. Collier & S0n Corporation, 1965), P. 49.

3- Ibid., P.49.

٤ – عبد الوهاب الكيالى (دكتور) رئيس التحرير ، موسوعة السياسة الجزء الأول من أ إلى ث ، (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩) ، ص ٨٨ .

٥ – دار همس فى الأوساط العسكرية المصرية فى عام ١٩٦١م أن العقيد احمد اسماعيل على المستشار العسكرى المصرى للرئيس بياتريس لومامبا رئيس الكونجو طلب من المقدم سعد الشاذلى قائد قوة الطوارىء المصرية التابعة للأمم المتحدة أن يقدم الأخير تقرير القوة الشهرى إلى القيادة السياسة العسكرية المصرية عن طريق الأول ولكن الثانى رفض وآثر أن يرسل التقرير مباشرة إلى القيادة العامة المصرية .وهذا الهمس لم تثبته الوثائق بعد .

٦ – عين الشاذلى ملحقا عسكريا فى لندن فى المدة من ١٩٦٢حتى ١٩٦٣ وكان على اتصال بجماعات سرية مضادة لليهود حسب روايته لكاتب هذه السطور .

7- Who's Who In The Arab World, 1984- 1985, (Beirut: Publitec Publications,1985), P. 1106 .

8- The Lnternational Who,1988-89,(Landan: Europa Publications, Limited, 1988), P. 511.

9- Machiavelli, oP. cit., P. 75.

١٠ - حسن أحمد البدرى (اللواء الركن) ،"اليوبيل الذهبى لمعركة العلمين : سمات بارزة مشتركة بين معركتى العلمين والعبور : النصر الذى طال انتظارة "، مجلة الدفاع العربى ، العدد الأول ، السنة السابعة عشر - تشرين /اكتوبر ١٩٩٢م ، صـ ٢٠، ٢٦

١١ - عمرو عبد السميع :" حوار عن اكبر الحروب العربية المعاصره : المشير الجمسى يروى ذكرياته عن حرب ١٩٧٣"، مجلة الوسط ، العدد ٣٦ الصادر فى يوم ٥/١٠/١٩٩٢م ، ص ٣٦ .

١٢ - المصدر نفسه ، ص ٣٧ .

خاتمـــة

وهكذا ، نخلص إلى أن عناصر الصراع والغموض فى القيادة تؤدى حتما إلى حدوث شرخ فى كيان القيادة ، فتصبح أشبه شئ بالمريض المصاب بالشيزوفرينيا ، أى أنفصام الشخصية ؛ فلا تعرف القوات منها ماهو المقصود بالأوامر التى أصدرتها ، ولا تعرف هى نفسها ماذا فعلت وماذا تفعل ؟ فهى قيادة مترددة متخبطة منقسمة على نفسها متردية فى قراراتها غير المدروسة . والنتيجة الحتمية لذلك هى الهزيمة المنكرة . ولعل الغموض الناتج فى العلاقة بين القائد العام ونائبه فى القيادة المصرية كان منشؤهُ أنفصام عرى الوحدة المصرية مع سوريا ورغبة القيادة العسكرية فى عزل القيادة السياسية عن القوات المسلحة من جانب ورفض نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة السماح للسوفيت بأتخاذ قواعد بحرية وجوية على أرض مصر من جانب آخر . وهنا على ما يبدو من بعض المؤرخين تطابقت الرغبتان : رغبة السوفيت فى إزالة هذه القيادة العسكرية التى تحول دون نفوذها فى مصر ورغبة القيادة السياسية المصرية فى إزالة نفس هذه القيادة العسكرية التى تحول دون ممارسة أختصاصاتها فى القوات المسلحة . ومن المرجح أن تكون هذه الدراسة قد ألقت الضوء على أحتمالات تطابق وجهتى النظر . فراح السوفيت يخططون لهزيمة مصرية تكون نتيجتها إزالة هذه القيادة من طريقها ومن طريق عبد الناصر على حد سواء .

وعرفنا كيف شحذت القيادة العامة الجديدة همتها وتلاحمت مع القوات

ونشطت فى يقظة وحزم لإعادة بناء الفرد المصرى وتلاحمت مع القوات ونشطت فى يقظة وحزم لإعادة بناء الفرد المصرى المقاتل الذى فقد الثقة بالنفس وبالقيادة وبالسلاح وبالقضية التى يحارب من أجلها ، وتمكنت من عرض مطالبها على القيادة السياسية بصدق وإخلاص فتيسرت لها جميع المطالب وأصبحت قادرة فى ظرف سنوات ثلاث على تربية جندى عملاق قبل أن تشيد صرحاً عسكرياً ضخماً قادراً على التصدى لمهام تحرير الأرض المغتصبة بقوة السلاح .

وفى النهاية جنت القيادة السياسية والقيادة العسكرية مكاسب التكامل والثقة المتبادلة بين القيادة والقوات حتى حققت النصر فى حرب رمضان ١٣٩٣ هـ / أكتوبر ١٩٧٣ م .

تلك الأمثلة نسوقها بالحق للأجيال القادمة مدعومة بنظريات أثبتت التجارب صدقها وصلاحيتها للتطبيق ، أوردناها على لسان نيقولو ماكيافيللى فى كتابة الأمير .

ولا يفوتنا هنا أن نختتم بعبارة وردت على لسان أستاذ ماكيافيلى وهو العلامة عبد الرحمن بن خلدون المغربى مؤسس علم الاجتماع فى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ، لما فيها من عبرة لا تخلو من طرافة إذ يقول :

وأنظر فى ذلك ما حكاه المسعودى فى أخبار الفرس عن الموبذان صاحب الدين عندهم أيام بهرام بن بهرام ، وما عرض به للملك فى إنكار ما كان عليه من الظلم والغفلة عن عائدته على الدولة ، بضرب المثال فى ذلك على

لسان البوم حين سمع الملك أصواتها وسأله عن فهم كلامها ، فقال له : إن بوماً ذكراً يروم نكاح بوم أنثى ، وإنها شرطت عليه عشرين قرية من الخراب فى أيام بهرام فقبل شرطها ؛ وقال لها : إن دامت أيام الملك أقطعتك ألف قرية ، وهذا أسهل مرام . فتنبه الملك من غفلته وخلا بالموبذان وسأله عن مراده ، فقال له : أيها الملك إن الملك لا يتم عزه إلا بالشريعة ، والقيام لله بطاعته ، والتصرف تحت أمره ونهيه ؛ ولا قوام للشريعة إلا بالملك ؛ ولا عز للملك إلا بالرجال ؛ ولا قوام للرجال إلا بالمال ، ولا سبيل إلى المال إلا بالعمارة ؛ ولا سبيل للعمارة إلا بالعدل . والعدل الميزان المنصوب بين الخليقة ، نصبه الرب وجعل له قيِّما ، وهو الملك . وأنت أيها الملك عمدت إلى الضِّياع فانتزعتها من أربابها وعُمَّارها ؛ وهم أرباب الخراج ومن تؤخذ منهم الأموال ، وأقطعتها الحاشية والخدم وأهل البطالة ، فتركوا العمارة ، والنظر فى العواقب وما يصلح الضياع ، وسومحوا فى الخراج لقربهم من الملك . ووقع الحيف على من بقى من أرباب الخراج وعُمَّارِ الياع ، فأبخلوا عن ضياعهم وخلّوا ديارهم ، وآووا إلى ما تعذر من الضِّياع فسكنوها . فقلت العمارة وخربت الضياع وقلت الأموال وهلكت الجنود والرعية ، وطمع فى ملك فارس من جاورهم من الملوك لعلهم بأنقطاع الموارد التى لا تستقيم دعائم الملك إلا بها .

فلما سمع الملك ذلك أقبل على النظر فى ملكه ، وأنتزعت الضياع من أيدى الخاصة وردت على أربابها ، وحملوا على رسومهم السالفة ، وأخذوا فى العمارة وقوى من ضعف منهم ، فعمرت الأرض وأخصبت البلاد وكثرت

الأموال عند جباة الخراج ، وقويت الجنود وقطعت مواد الأعداء وشحنت الثغور ، وأقبل الملك على مباشرة أموره بنفسه ، فحسنت أيامه وأنتظم ملكه . فتفهم من هذه الحكاية أن الظلم مخرب للعمران ، وأن عائدة الخراب فى العمران على الدولة بالفساد والأنتقاض[1] .

وليس هناك أحسن من كتاب الله عز وجل ننهل منه تلك الآيات البينات لتكون مسك الختام : ﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين (٣٣) ولا تستوى الحسنة ولا السيئة أدفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم (٣٤) وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم (٣٥) ﴾ (سورة فصلت) صدق الله العظيم .

---

(١) عبد الرحمن بن خلدون "الفصل الثالث والأربعون : فى أن الظلم مؤذن نجراب العمران" ، تاريخ العلامه ابن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ، المجلد الأول (بيروت : مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبنانى للطباعة والنشر ١٩٦١م) ص ٥٠٨ - ٥٠٩ .

الملاحـــق

الملحـــق (أ)

المؤلف فى سطور :

ولد فى قرية جزيرة الحجر من قرى دلتا النيل وهى القرية التى أطلق عليها عمرو بن العاص هذا الاسم بدلاً من اسمها السابق نيقيو NIKIOU وهى القلعة الوحيدة التى صدت سرايا الفتح الإسلامى فى شهر يونيه عام ٦٤٠م ولم يفتحها المسلمون إلا فى شهر أبريل عام ٦٤١م . وحولها عمرو إلى مركز ثقافى إسلامى مازالت آثاره قائمة بها حتى الآن وخاصة "المسجد العمرى" .

تاريخ الميلاد : ٩ / ٣ / ١٩٣١ م .

التأهيل الدراسى : ليسانس فى الأدب الإنجليزى ١٩٧٨ .

ماجستير فى الأدب الإنجليزى ١٩٨٤ .

دكتوراه فى الأدب الإنجليزى ١٩٩٣ .

التأليف والترجمة : الناقلة المدرعة (مترجم) .

غزو العقول (مترجم) .

فض الشغب (مترجم) .

الفدائيون .

شرم الشيخ ومضيق ثيران .

الخداع فن وتطبيق .

قراءة الخرائط .

- The Egyption Militant .

- The Jew of Alexandria (or The Myth of the Li- (مسرحية تاريخية)
brary) .

- The Twice Born and the Twice Died . (مسرحية تاريخية)

الملحق (ب)

ترجمة لحياة اللواء الركن السيد عبد الغني الراوي

الميلاد : بغداد في يوم ١٦ / ١٢ / ١٩٢٢ م

الخبرة : تخرج في الكلية العسكرية برتبة ملازم ثان في يوم ١ / ١ / ١٩٤١ م .

وتدرج في المناصب القيادية التالية .

- **ملازم ثان :** صنف المدفعية .
- **ملازم أول :** معلم التخطيط في الكلية العسكرية .

معلم صف المدفعية في سرية الاختصاص في الكلية العسكرية .

- **نقيب :** معادن آمر بطارية مضادة للدبابات .
- **نقيب ورائد :** طالب في كلية الأركان .
- **رائد ركن :** ضابط ركن اللواء الرابع (لواء الملكة عالية) .
- **مقدم ركن :** ضابط الركن الثاني في الفرقة الثالثة (مدير حركات الفرقة) .
- **عقيد ركن :** آمر الفوج الثالث من اللواء الخامس عشر .
- اقضى فترة بالسجن ثم أحيل إلى التقاعد .
- أعيد إلى الخدمة رتبة عقيد ركن آمر للفوج الثاني من اللواء الثامن

الآلى .

- أحيل إلى التقاعد للمرة الثانية .

- وبينما هو فى التقاعد سيطر على قاعدة الحبانية وتقدم بقواته (٩١٢ جندى وضابط) واقتحم قلعة وزارة الدفاع وألقى القبض على عبد الكريم قاسم وقدمه للمحاكمة وهو برتبة عميد ركن قائد لقوات غرب نهر الفرات(*) .

- **عميد ركن :** رئيس المحكمة العسكرية العليا التى حاكمت عبد الكريم قاسم وأصدر عليه حكما بالأعدام ونفذ حكم الأعدام بأمر منه وبحضوره وهو واحد من بضعة أشخاص نصبوا عبد السلام عارف رئيساً للجمهورية .

- فى ثورة رمضان ١٤ / ٢ / ١٩٦٣ م ترقى إلى رتبة اللواء الركن قائدا للفرقة الثالثة المدرعة .

- تعين وزيراً للزراعة مع بقائه برتبته العسكرية محسوبا على الجيش .

- أحيل إلى التقاعد للمرة الثالثة مع تعيينه سفيراً للعراق فى ڤيينا ورفض الالتحاق بها لمدة تزيد عن سنة .

- تعين نائباً لرئيس الوزراء فى الوزارة التى شكلها الرئيس عبد الرحمن عارف بالإضافة إلى قيامه بوكالة وزارة الخارجية ورئيساً للجنة التموين

(*) بينما قوات قاسم فى وزارة الدفاع تزيد عن ٥٠٠٠ ضابط وجندى . وبعد قتال ١٤ ساعة فى ظهر يوم الجمعة ١٤ رمضان ١٣٨٢ هـ الموافق ٨ شباط ١٩٦٣ م . واستسلم له بعد منتصف ليلة الجمعة / السبت ما يقارب ٣٦٠٠ ضابط وجندى وهرب الباقون عن طريق نهر دجلة وقطاع المستشفى الجمهورى .

العليا (ما يماثل وزارة التجارة الخارجية فى بعض الدول) ورئيساً لمجلس إدارة الأوقاف .قبل تشكيلها وزارة للأوقاف) .

- فى يوم ٤ يونية / حزيران ١٩٧٦ م تعين رئيساً للوفد العراقى الذى وصل إلى القاهرة لدعم القيادة المصرية قبل اندلاع حرب ١٩٦٧ م .

المصـــادر العربيـــــة :

- ابن خلدون ، عبد الرحمن ، "الفصل الثالث والأربعون : فى أن الظلم مؤذن لخراب العمران" ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر الجزء الأول (بيروت ، مكتبة المدرسة ، ودارالكتب اللبنانى للطباعة والنشر ، ١٩٦١) .

- الأيوبى ، الهيثم . الموسوعة العسكرية الجزء الثالث (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٥م) .

- البدرى ، حسن أحمد (اللواء الركن) . "استراتيجيا وتكتيك : اليوبيل الذهبى لمعركة العلمين ، سمات بارزة مشتركة بين معركتى العلمين والعبور - النصر الذى طال انتظاره" . الدفاع العربى العدد الأول - السنة السابعة عشر . تشرين / أكتوبر ١٩٩٢ م .

- عبد السميع ، عمرو "الفريق أول محمد فوزى يتذكر حرب ١٩٦٧م" . الوسط ، العدد ١٨ - ١ / ٦ / ١٩٩٢ م .

- عبد السميع ، "المشير عبد الغنى الجمسى يروى للوسط ذكرياته عن أكبر الحروب العربية المعاصرة" الوسط العدد ٣٥ - ٢٨ / ٩ / ١٩٩٢ م .

- عبد السميع ، "حوار عن أكبر الحروب العربية المعاصرة : المشير الجمسى يروى ذكرياته عن حرب ١٩٧٣ م" . الوسط . العدد ٣٦ - ٥ / ١٠ / ١٩٩٢ م .

- عبد السميع ، "محمد فوزى يتذكر حرب ١٩٦٧ م" ، الوسط ، العدد ١٩ - ٨ / ٦ / ١٩٩٦٢ م .

- عبد السميع ، الوسط ، العدد ٢٠ - ١٥ / ٦ / ١٩٩٢ م .

- فهيم ، فاروق (اللواء) ، "ندوة" ، الوسط . العدد ١٩ - ٨ / ٦ / ١٩٩٢ م .

- فؤاد ، نبيل (اللواء) ، "ندوة" ، المصدر السابق .

- الكيالى ، عبد الوهاب (دكتور) ، موسوعة السياسة ، الجزء الأول من أ إلى ث (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٩ م) .

- منصور ، توفيق على (دكتور) . "الصراع والغموض فى القيادة العامة على ضوء نظريات ماكياڤيللى" ، الحرس الوطنى ، العدد ...

- منصور ، "اليقظة والحزم فى القيادة على ضوء نظريات ماكياڤيللى" ، الحرس الوطنى ، العدد ...

- منصور ، "التكامل والثقة فى تشكيل القيادة العامة على ضوء نظريات ماكياڤيللى" ، الحرس الوطنى ، العدد ...

المصــــادر الأجنبيــــة :

- Ferroccio , Franco , The Poetics of Disguise : The Autobiography of the work in Homer , Dante , and Shakespeare , tr. Ann Dunnigen , (Ithaca ' Cornell University Press , 1980) .

- Homer , The Lliad , ed. & tr. , Richmond Lattimore , (Chicago, The University of chicaga press, 1961).

- Homer, The odyssey the harvard classics, vol. 22, ed ., charles W. Eliot, tr., S.H. Bucher and A. Lang, (new york: P.F. Colliers & Son Corporation, 1965) .

- John, Robert St., "Nasser, Gamal Abdel", The New Encyclopaedia Britannica, Vol. 8, (Chicago : Encyclopaedia Britannica, Inc., 1985) .

- Machiavelli, Niccolo, The Prince : The Harvard Classics, ed., Charles W. Eliot, tr., N. H. Thomson, (New York : P. F. Colliers & Son Corporation, 1965) .

- Peter, Donn, "Sadat, Anwar El (1918 - 1981)", The New Book of Knowledge, Vol. 17, (Danbury : Grolier Incorporeted, 1987) .

- Shakes Peare, William, King Lear : The Arden Edition, ed., Kenneth Muir, (London : Methuen & Co. Ltd., 1980) .

- Shakes Peare, Macbethi the Arden shakespear, ed., kenneth muir, (London: methuen & Co. Ltd., 1986) .

- Who's who in the arab world, 1984 - 1985, (Beirut:Piblitec publication, 1985) .

- The international who's who, 1988 - 89 (London: Europa publications, Limited, 1988) .

رقم الإيـداع بـدار الكتـب

رقم الايداع ١٠٣٤٥ / ٩٤

دار القبس للطباعة ت / ٣١٨٩٧٤١ / ٩٨٥٦٢٨

دار الحسام للطباعة والنشر والتوزيـع
١٢ ش د/ عز الدين طه - المنطقه الأولى - مدينة نصر